السبت 23 كانون الثاني 2021
العدد 4253 السنة الخامسة عشرة
Samedi 23 Janvier 2021 nº 4253 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

جورج سوندرز
القصة دليلنا إلى الحياة

57 وفاة... والأوكسيجين «محتجز» في مصرف لبنان [6]

حزب الله يستأنف «مسعاه» الحكومي [4]

(هينم الموسوي)

التدقيق الجنائي
حماية المصارف... وسلامة!

[2 ـ 3]

على الغلاف

آخر البدع... استثناء حسابات المصارف من التدقيق الجنائي!

كلّما أزيل مطبّ من أمام التدقيق الجنائي وُضع آخر. بعد إقرار القانون الذي علّق العمل بالسرية المصرفية، انتقل النقاش إلى تفسيره. ثمة من يريد أن يخلص إلى أن القانون لا يشمل التدقيق في حسابات المصارف المفتوحة في مصرف لبنان. وفي ذلك سعي واضح إلى ضرب التدقيق مجدداً، إذ لا قيمة له إذا لم يشمل هذه الحسابات. نقطة أخرى لا تزال مسار جدل، وهي مسألة «التوازي» في التدقيق بين مصرف لبنان والمؤسسات والإدارات العامة. نقاشات النواب كانت واضحة في الحالتين: التدقيق يشمل كل الحسابات المفتوحة في مصرف لبنان، والتوازي لا يعني التزامن بل توسيع دائرة التدقيق ليشمل باقي المؤسسات، خاصة أن هذا التدقيق قد انطلق فعلاً في المصرف المركزي. وبالرغم من تعطيله من قبل رياض سلامة، إلّا أن القانون وجد ليُزيل مبررات هذا التعطيل لا ليزيد الغموض

أيلي الفرزلي

يكاد ينتهي الشهر الأول من مهلة السنة المخصصة لتعليق أحكام قانون السرية المصرفية لغايات التدقيق الجنائي في حسابات مصرف لبنان وحسابات الوزارات والمصالح المستقلة والمجالس والصناديق والمؤسسات العامة، من دون أن يُحرز أي تقدّم. وكما كان متوقعاً، بدلاً من البدء بتنفيذ القانون رقم 200 الصادر في 29 كانون الأول الماضي، تحوّل النقاش إلى تفسيره. أول من طرح تساؤلات بشأن ذلك هو شركة «ألفاريز» نفسها. فبعد أن توجّه الوزير غازي

«الفاريز» لا تثق بتعاون مصرف لبنان

وزير المال يطلب رأي هيئة التشريع بشأن «الحسابات الخاصة»

وزني إليها برسالة يُعلمها فيها بإقرار القانون (2020/12/29)، سائلاً عن مدى استعدادها للاستمرار بالعقد، أتته رسالة جوابية من المدير الإداري للشركة جيمس دانيال (2021/1/6) تتضمن أربع نقاط تريد الاستفسار عنها. في الرسالة، التي اطلعت عليها «الأخبار»، يبدو جلياً أن الشركة لا تزال غير واثقة، بالرغم من إقرار القانون، أن مصرف لبنان سيتعاون. سؤالان أساسيان إذا غُرف الجواب عليهما، أمكن القول إن العقبات الأساسية أزيلت من أمام التدقيق الجنائي في حسابات مصرف لبنان.

(هيثم الموسوي)

في الأول تستفسر الشركة عما إذا كان القانون الجديد يجيز لها الاطلاع على حسابات المؤسسات الخاصة لدى مصرف لبنان، وفي الثاني تستفسر عما إذا طرأ أي تعديل على موقف حاكم مصرف لبنان الرافض لتسليم الشركة معلومات عن هيكلية مصرف لبنان وعمله التنظيمي وقواعد الحوكمة المعتمَدة لديه، بحجة أن ذلك يشكل انتهاكاً لقانون النقد والتسليف.

مضمون رسالة «الفاريز» نقله وزير المال بكتب رسمية إلى كل من رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة وحاكمية مصرف لبنان. في رسالته إلى الأخير طلب التعاون بشكل كامل مع المكلّفين بإجراء التدقيق الجنائي تنفيذاً لقرار الحكومة وتنفيذاً للقانون 2020/200. أثناء تواصله مع رئاستَي الجمهورية والحكومة، اعتبر وزني أن السؤال الذي طرحته «الفاريز» بشأن شمول حسابات المؤسسات الخاصة لدى مصرف لبنان «هو مسألة تتعلق بجوهر القانون وتفسيره». ولذلك، طلب، وهو ما حصل فعلاً بعد قرار مجلس النواب الصادر في 2020/11/27. لكن مع افتراض أن ذلك الموقف كان مبرراً، فإن تعليق قانون السرية المصرفية في ما يخص كل المؤسسات لدى مصرف لبنان يعني أنه حتى طلب أصحاب هذه الحسابات رفع السرية عنها لم يعد ذا جدوى، طالما أن السرية رُفعت قانوناً. نائب شارك في صياغة القانون يجزم أن النقاش كان واضحاً في التأكيد أن «القانون يشير إلى التدقيق في حسابات مصرف لبنان وحسابات الغير المفتوحة لديه، بشكل يؤدي إلى إظهار كل العمليات التي جرت. وهو الهدف من التدقيق أساساً». يضيف النائب: وإلا كيف يمكن، على سبيل المثال، معرفة من استفاد من الهندسات المالية وكم استفاد؟ كما يؤكد المصدر أن الإشارة في القانون إلى أن «تبقى أحكام قانون السرية المصرفية سارية في كل ما عدا ذلك»، يعني بوضوح أن الدولة والهيئات والمؤسسات العامة.

حماية حسابات سلامة الشخصيّة أيضاً

مع فتح التحقيق السويسري بشأن التحويلات المالية لحاكم مصرف لبنان رياض سلامة ومساعدته ماريان الحويك وشقيقه رجا سلامة، تتخذ مسألة «الحسابات الخاصة» في مصرف لبنان بعداً جديداً. فمحاولة حماية هذه الحسابات وتجنيبها مبضع التدقيق الجنائي، غير محصورة بحماية العمليات التي أدّت إلى تضخّم أرباح المصارف العاملة في لبنان، وأصحابها وكبار المودعين، على حساب المال العام المؤتمن عليه مصرف لبنان، بل تتعدى ذلك إلى الحسابات الشخصية لسلامة (ونوابه)، المفتوحة لدى المصرف المركزي. فمنع شركة التدقيق من الاطلاع على الحسابات الخاصة، سيعني حماية إضافية لسلامة، وخاصة أن أيّ تحقيق يجريه القضاء في لبنان بشأن هذه الحسابات يمكن أن ينتهي بكتاب مقتضب من هيئة التحقيق الخاصة ـ التي يرأسها سلامة نفسه ـ تقول فيه للقضاء: «لم نجد حركة مشبوهة في هذه الحسابات». وبالتالي، لا يوجد ما يستدعي رفع السرية المصرفية عن هذه الحسابات». ولا طائل هنا من القول إن سلامة لن يرأس الهيئة في حال ورود أي طلب قضائي متصل بحساباته، لأن من سيترأسها حينذاك ليس سوى نائبه الأول وسيم منصوري.

أما السماح لشركة التدقيق بالاطلاع على «الحسابات الخاصة»، فسيتيح لها نبشها بصورة غير تلك التقليدية التي تُدار فيها الأمور في لبنان. وهنا، أيضاً، يكمن أحد أسباب السعي إلى حماية هذه الحسابات واستثنائها من التدقيق، بصرف النظر عن كون هذا السبب رئيسياً أو فرعياً.

(الأخبار)

قضية

خلاف «الطاقة» والعلّية: إقصاء الشركات اللبنانيّة من مناقصة الفيول

وصلت النقاشات بين إدارة المناقصات ووزارة الطاقة والمياه الى حائط مسدود. رغم تذليل معظم العقبات حول دفتر شروط مناقصة شراء الفيول والغاز أويل بعد وقف العقد مع «سوناطراك». العقدة الاساسية تكمن في السماح او عدم السماح للشركات اللبنانية بالمشاركة. في نظر «المناقصات» إقصاء اللبنانيين مخالف للدستور، فيما تصرّ «الطاقة» ولجنة الاشغال النيابية على أن تعديل الشروط والمواصفات هدفه حفظ «سمسرات» تجار المازوت وليتمكّن من خرج من شباك «سوناطراك» من العودة من باب إدارة المناقصات

رلى إبراهيم

لم تصل النقاشات والمراسلات بين إدارة المناقصات ووزارة الطاقة والمياه المتعلقة بدفتر شروط المناقصة المعتزم إجراؤها لاستيراد الفيول أويل Grade A و B والغاز أويل، الى خواتيم سعيدة، رغم تذليل الجزء الأكبر من العقبات. النقطة العالقة قائمة حول تفسير قرار مجلس الوزراء الصادر بتاريخ 2020/7/02 الذي تضمن تعديلاً لقراره السابق بتاريخ 20202/3/19 القائل بأن «تكون المناقصة من دولة الى دولة ومن دون أي وسيط، بحيث تصبح الصفقة من خلال مناقصة دولية تشترك فيها شركات نفط وطنية وعالمية»، عبر إزالة كلمة «وطنية» والإبقاء على عالمية فقط. كان مقصد وزارة الطاقة وراء طلب هذا التعديل، بحصر العروض بالشركات العالمية من دون إشراك الشركات اللبنانية، على ما تردده مصادر الوزارة، للحدّ من «الفساد والغشّ والعمولات». نظرية يعارضها المدير العام لإدارة المناقصات جان العليّة وقد أبلغها إلى وزير الطاقة منذ بدء النقاشات، وخلال الاجتماع الأخير الذي جمعهما قبيل أسبوع حيث تم وضع اللمسات الأخيرة على ملاحظات إدارة المناقصة على دفتر الشروط، في ما يخص مواصفات المحروقات او حقوق الدولة المالية. بقي الخلاف حول السماح أو عدم السماح للشركات اللبنانية بالمشاركة في المناقصة، ما يعني أن العلية لن يعلنّ عن المناقصة ما لم يجرِ تذليل هذه العقبة. المشكلة الرئيسية هنا أن المدير العام للمناقصات وجّه رسالة الى وزارة الطاقة بتاريخ 2021/1/13 موضوعها قرار مجلس الوزراء الرقم 4 الصادر بتاريخ 2020/7/2 المتعلق بإطلاق مناقصة الفيول أويل A و B والغاز أويل لزوم مؤسسة كهرباء لبنان، يقول فيها إن «إدارة المناقصات ومن موقعها كمؤتمنة على مبدأ المنافسة وحماية الاقتصاد الوطني تفسر قرار مجلس الوزراء انطلاقاً من القاعدة التي ترعى هذا النوع من النصوص. وتعتبر أن مشاركة شركات النفط العالمية لم ترد في متن هذا القرار على النطاق الحصري ولا تحول دون مشاركة الشركات الأخرى الوطنية والمحلية». وأشار العلية إلى أنه «نظراً إلى عدم مطابقة وجهة نظره مع وجهة نظر وزارة الطاقة (...) و«بما أنه من الناحية القانونية، المطلق يُفسّر على إطلاقه، ولا سيما في النصوص التي تتعلق بحرية المنافسة والمبادئ الاقتصادية العامة المكرسة في الدستور اللبناني، والاستثناء يفسر حصراً وبصورة ضيقة في حدود النص الذي يجيزه متى وجد. وبما أنه من الناحية الواقعية، فإن الوضع الاقتصادي والمالي الحالي وفرص نجاح المناقصة وتحصينها من أيّ طعن محتمل بها يفرضان توسيع قاعدة المنافسة كما توضيح قواعد المشاركة والية التنفيذ قبل إطلاق المناقصة، ترى إدارة المناقصات عرض الأمر على مجلس الوزراء لاتخاذ القرار المناسب». لكن حكومة حسان دياب المستقيلة لا تعقد اي جلسات، وبالتالي يتعذّر على «الطاقة» الحصول على التفسير المطلوب من العلية، فيما بدأ النفط ينفد، والمفاوضات مع العراق لاستيراد المحروقات منه لا تزال تتعرض للعرقلة من قبل كارتيل النفط وداعميه.

يشير المدير العام للمناقصات في حديثه إلى «الأخبار» الى أن ثمة «تعميماً قديماً يقول بأن أي خلاف بين مدير عام ووزير يجري عرضه على مجلس الوزراء». لكن المجلس الأشغال العامة النيابية سبق أن «ناقشت الحصول على موافقة استثنائية من رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة، لكني أبلغتهم أن لا شيء اسمه موافقة استثنائية في الدستور أولاً، وأن مسألة موافقة الرئيسين على حصر المناقصة بالشركات العالمية حصراً وإقصاء الشركات اللبنانية سيكون له تداعيات معنوية غير سهلة». إذاً، ما الحلّ؟ يؤكد المدير العام لإدارة المناقصات أن مكان الحل هو في لجنة الأشغال التي تمثل كل الأطراف. وبالتالي يفترض أن تجتمع اللجنة لتتوافق على قرار أو توصية تؤكد فيها حصر المناقصة بالشركات العالمية. ذلك هو المخرج القانوني المتاح، عندها «أنا التزم وأطلق المناقصة كما يريدون بعد إعطائي رأياً في اللجنة. وليتحمّلوا هم هذه المسؤولية على قاعدة اللّهم اشهد إني بلّغت»، بقول العلية، علماً بأن لا مشكلات بين المناقصات والطاقة، لا بل إن «الوزارة متجاوبة الى أقصى الحدود وطبقت كل ما طلبناه». رغم ذلك، عُلّق التفاهم على تفسير قرار مجلس الوزراء الذي صدر أصلاً بناءً على طلب وزارة الطاقة، لأنه «لا يمكن أن يكون موقف إدارة المناقصات استبعاد الشركات اللبنانية، فالأمر مخالف للدستور الذي يكفل المنافسة، كما أنه غير منطقي في وضع اقتصادي مماثل يحتّم علينا تأمين فرص عمل للشركات اللبنانية».

أما مصادر وزارة الطاقة، فتعتبر التجربة السابقة غير مشجعة، وأن ائتلاف الشركات العالمية مع شركات لبنانية تمثلها هنا، بمثابة فتح الباب على بازار العمولات. حجة

تقول مصادر لجنة الأشغال إن طلب العلّية منها تفسير قرار مجلس الوزراء «هرطقة»

تبدو، بالتجربة، غير مقنعة، بما أن الشركتين موضوع التحقيق في الفيول المغشوش ـ أي سوناطراك وZR Energy ـ ليستا مسجلتين في لبنان، وكان المتعاقد المباشر (سوناطراك) يشتري من الموزّد (زد آر إنرجي) الذي لا يتحمل مسؤولية لأنه يبيع المتعاقد ولا يبيع الدولة. ويسأل العلية: «لو كان هناك شريك محلي في العقد محددة حقوقه وواجباته وقامت الوزارة والمؤسسة بدورهما الرقابي هل كان حصل ما حصل؟». ويصرّ على أنه قرأ القرار الظني والاتهامي عدة مرات، والمشكلة لم تكن في العقد بين لبنان و«سوناطراك» الذي يصفه بالنموذجي، بل في تطبيقه وفي التلاعب بالعيّنات عند تسلّمها. لذلك عرض على «الطاقة» تشديد الشروط والمسؤوليات في دفتر الشروط وأن تكون الشركتان العالمية واللبنانية مسؤولتين بالتكافل والتضامن، وأن يكون هناك إمكانية محاكمة لهما في القانون اللبناني إلى جانب التحكيم الدولي حتى تظلّ إمكانية الملاحقة متاحة.

من جانبها، تتمسك وزارة الطاقة بموقفها الرافض لإشراك شركات لبنانية معلّلة الرفض بأنها إرادة مجلس الوزراء.

«رأي العلية هو المشكلة بعينها»، وفقاً لمصادر في لجنة الأشغال النيابية، إذ يتعذّر عليها القيام بما يقترحه لأن ثمة فصلاً بين السلطات، وبالتالي مجرد موافقتها على تفسير قرار مجلس الوزراء هو «هرطقة»، ويعطّل الدور الرقابي اللاحق لمجلس النواب. فالمجلس نفسه منح الثقة للحكومة لتقوم بدورها التنفيذي الذي قامت به عبر إصدارها القرار، ولكن المدير العام لإدارة المناقصات يستغل تصريف الأعمال اليوم لتمرير ما يريده. ووفقاً للمصادر، فإن الحكومة واضحة بقرارها إجراء عقد مباشر لشراء المحروقات من الشركات العالمية المُنتجة للبترول من دون المرور بسمسرات ووساطات. وبصورة أوضح، فإن الشركات العالمية ليست محددة بجنسيتها، بل بحسب مصطلحات معروفة هي NOC و IOC. الأولى تعني الشركات الوطنية المنتجة للنفط أي المملوكة من الدول، إلا أن العلية فسر مصطلح «وطنية» في غير قصده، فاضطرّ مجلس الوزراء إلى حذف هذه الكلمة حتى لا تكون شركات تجار المازوت قد خرجت من «شبّاك» سوناطراك لتدخل من باب إدارة المناقصات. أما المصطلح الثاني فيعني الشركات العالمية المنتجة للنفط غير المملوكة من الدولة. وتشير الى أنه لا مانع من دخول أي شركة لبنانية إذا كانت منتجة للبترول ولديها مصفاة للنفط ويتم إيضاح هذا الأمر جيداً في دفتر الشروط. ولكن أن تكون الشركة اللبنانية موازية لعمل السماسرة الذين يتقاضون عمولات تمويل سياسي ويتم تخفيض حجم الأعمال بطلب من إدارة المناقصات من نحو 25 مليار دولار الى مليارين يعني أن ثمة نيات مبيّتة. تختم المصادر أن طلب العلية من لجنة الأشغال غير قابل للحصول، ولا يمكن في المقابل إقصاء أي شركة لبنانية بقرار رسمي لأنه سيكون موضوع طعن في مجلس شورى الدولة.

اقصاء اي شركة لبنانية بقرار رسمي سيكون موضوع طعن في مجلس شورى الدولة (هيثم الموسوي)

المشهد السياسي

تأليف الحكومة: حزب الله يستأنف «مسعاه»

إذا كانت المخاوف من عقوبات أميركية تفرضها إدارة دونالد ترامب بعد تأليف حكومة يتمثّل فيها حزب الله بطريقة او بأخرى، فحالياً هو الوقت المناسب لإطلاق التشكيلة. اما إذا كانت الخلافات الداخلية هي العائق الاكبر امام فرض سلطة تنفيذية، فيُفترض ان تدفع حالة الطوارئ العامة الجميع إلى «التواضع». حزب الله قرّر إطلاق مسعى، في محاولة لإعادة الثقة بين ميشال عون وسعد الحريري. علّها «تنفرج»

عون: للرئيس حقّ دستوري بأن يوافق على التشكيلة الحكومية كاملة قبل التوقيع (هيثم الموسوي)

المفارقة في لبنان أنّه كلّما تفاقمت حدّة الأزمة، وتضاعفت معها الحاجة إلى وجود سلطة تنفيذية، ازداد «تعنّت» القوى السياسية الأساسية. يرفعون سقف تفاوضهم، مُنتظرين «العرض» الأفضل، كما لو أنهم مُنفصلون عن الواقع اللبناني. مرّ «قطوع» 20 كانون الثاني، تاريخ انتقال الحُكم في الولايات المتحدة الأميركية إلى الرئيس جو بايدن، وهي «الحُجّة» التي تمترس خلفها البعض، وخاصة رئيس الحكومة المُكلّف سعد الحريري لتأخير تقديم تشكيلة وزارية. وداخلياً، كلّ القوى باتت تعرف «شروط» بعضها البعض، وما هي طلباتها. القصة لم تعد بحاجة سوى إلى «التواضع» قليلاً، والاستفادة من «الوقت الضائع» الأميركي للانتهاء من هذا الملفّ، لأنّ المسائل الصحية والاجتماعية والمالية والنقدية على تشكيلة حكومية. وتوضح مصادر مطلعة أنّ ما يقوم به حزب الله هو «مسعى وليس مبادرة، أو عادة ما تتضمّن بنوداً عدّة، أو وساطة تكون قائمة على نقل رسائل من جهة إلى أخرى». المحاولة التي يقوم بها حزب الله «هدفها حصراً خلق ثقة ما بين الرئيس عون والحريري، بعدما تحطّمت هذه الثقة، فيما الوضع شديد الخطورة ما بين الأزمة الاقتصادية ـ المالية ـ النقدية والكارثة الصحية». هذه أزمات ستكون معالجتها «صعبة بوجود حكومة، فكيف الحال والبلد يفتقر إلى سلطة تنفيذية؟».

وتوضح المصادر أنّ حزب الله كان ينوي بدء مسعاه قبل إعلان البطريرك مار بشارة بطرس الراعي تحرّكه لإنتاج تسوية، «ففضّل حزب الله البقاء جانباً إفساحاً في المجال أمام الراعي. حالياً، كلّ المبادرات توقّفت ولم تصل إلى نتيجة، فقرّر حزب الله العودة إلى إطلاق المسعى، وخاصة أنّه لم يعد من الممكن التذرع بضغوط خارجية بعد مغادرة دونالد ترامب الرئاسة الأميركية، ويُفترض أن يكون الحريري قد بات أكثر تحرّراً».

لكن، حتى لو أن الحريري بات أكثر اقتناعاً بضرورة تحمّل مسؤولياته وتأليف الحكومة، إلا أنّ ذلك لا يعني تحرّره من الضغوط نهائياً. عبّر جنبلاط عن ذلك أمس بقوله «إذا كان الشيخ سعد يريد مشاركة هؤلاء، أنصحه «بلاها». وإذا كان مُصرّاً فليُكمل. يا شيخ سعد، هم لا يريدونك، فليحكموا وسنرى لاحقاً إذا ما سينجح هذا الحكم. برأيي لن ينجح مشروعهم تدمير وإفقار».

> ما يقوم به حزب الله هو مسعى وليس مبادرة أو وساطة

وأضاف جنبلاط في حديث إلى «صوت كلّ لبنان» إنّه «صاحب نظرية خلّيهم هنّي يحكموا... فليتسلّموا كلّ البلد بكلّ مفاصله، وليتحمّلوا مسؤولية الربح أو الخسارة، لماذا نشارك نحن ولا نتسلّم أي شيء؟». قبل أن يلفت إلى أنّه صاحب نظرية أخرى (يصدف أنّها تتعارض مع هاجم جنبلاط في مقابلته النائب جبران باسيل، مُتّهماً إياه بعرقلة الحكومة. ليس في ذلك أي «جديد»، فقد بات هناك جوّ مُعمّم في الوسط السياسي والبلد أنّ باسيل وحيداً يتحمّل مسؤولية التعطيل. قوى إقليمية، وتحديداً فرنسا، تسأل بشكل مباشر عن تفاصيل لها علاقة بالتأليف وبالدور الذي يقوم به باسيل. كما أنّ البطريرك الراعي وجّه عتباً لمقرّبين من رئيس الجمهورية حول طريقة مقاربة الملفّ الحكومي. كلّ هذه الأمور دفعت عون إلى إصدار بيان أمس، نفى فيه أن يكون قد طلب الحصول على الثلث المعطل، مؤكّداً أنّ باسيل «لم يتعاط في عملية التشكيل مطلقاً». أما بالنسبة إلى حزب الله، «فلا يتدخل في أي قرار لرئيس الجمهورية، بما في ذلك تأليف الحكومة». أمّا في ما يتعلق باختيار الوزراء وتوزيعهم على الحقائب الوزارية، «فإنّ هذا الأمر ليس حقّاً حصرياً لرئيس الحكومة استناداً الى البند الرابع من المادة 53 والبند الثاني من المادة 64 من الدستور، ما يدلّ على أنّ للرئيس عون حقّاً دستورياً بأن يوافق على التشكيلة الحكومية كاملة قبل التوقيع»، خاتماً بأنّ قصر بعبدا «لا يزال بانتظار أن يأتيه رئيس الحكومة المُكلّف بطرح حكومي يراعي معايير التمثيل العادل».

> إذا ما سينجح هذا الحكم. برأيي لن ينجح مشروعهم تدمير وإفقار

وأضاف جنبلاط في حديث إلى «صوت كلّ لبنان» إنّه «صاحب نظرية خلّيهم هنّي يحكموا... فليتسلّموا كلّ البلد بكلّ مفاصله، وليتحمّلوا مسؤولية الربح أو الخسارة، لماذا نشارك نحن ولا نتسلّم أي شيء؟». قبل أن يلفت إلى أنّه صاحب نظرية أخرى (يصدف أنّها تتعارض مع الأولى)، «وهي التسوية. لا بدّ من تسوية بما يتعلّق بالحكومة... لا أحد مهتم بلبنان. كان هناك شيء من الاهتمام من قبل فرنسا ولا يزال، لكن علينا أن نهتم بأنفسنا وبحلّ العقد الداخلية». يتصرف جنبلاط كمن يوصل رسالة إلى المعنيين مفادها: «أعطوني المقعد الوزاري الذي أريد، ولا تُخصّصوا حقيبة لأخصامي في الطائفة، وستنالون سكوتي». خلال مقابلته، زعم جنبلاط وجود «غرف سوداء. هناك سليم جريصاتي والمدام عون (القاضية غادة عون)، يتحكّمان بالقضاء ويحكمان، وهناك غرف عسكرية غريبة عجيبة»، قبل أن ينتقل إلى التصويب على حزب الله، واصفاً إياه بأنّه «حزب قوي جدّاً ومن خلفه دولة قوية جدّاً اسمها الجمهورية الإسلامية. فهل تعترف بلبنان الكبير، أم أننا نحن فقط مقاطعة من المقاطعات من الجمهورية الإسلامية بين لبنان وسوريا والعراق؟ هذا السؤال».

في الواجهة

عون ـ الحريري: غرفة بابٍ واحد

لا أحد قادراً أو يريد الدخول على خط الوساطة بين رئيس الجمهورية ميشال عون والرئيس المكلف سعد الحريري لانهاء القطيعة الناشبة بينهما منذ اجتماعهما الرابع عشر في 23 كانون الاول

نقولا ناصيف

أول المفترض انه اقدر السعاة وأكثرهم تأثيراً، رئيس مجلس النواب نبيه بري، اوصد ابواب عين التينة وانتقل الى الجنوب لأسبوعين من الاستراحة على الاقل.

في الأيام الاخيرة لزم بري الصمت، فلم يُسمع يتحدّث عن مصير تأليف الحكومة كأنه غير معني بها، او يبدي استعداده لأي محاولة، عاكساً الامتعاض المجبول بخيبة الامل، وانتظار ما قد يحدث ولا يكون في الحسبان. لم يعد ما بين رئيس الجمهورية ميشال عون والرئيس المكلف سعد الحريري خلافاً على وجهات نظر حيال التأليف، مذ قدّم الرئيس المكلف مسودة حكومة من 18 وزيراً عشية الميلاد ورفضها رئيس الجمهورية. ما بينهما يختلط الشخصي بالموقفين العام والدستوري، والعناد بالامتناع عن ايجاد المخارج، بازاء المأزق الحالي الذي بات اكثر ارتباطاً بضوابط فرضها الرجلان، ما يجعل من المتعذّر تجاوزها ما لم يتبادلا التنازلات او يُفرض عليهما امر واقع لا يسعهما تجاهله.

اول الضوابط تلك ان رئيس الجمهورية لن يتخلى عن دوره الفعلي، الدستوري، كشريك للرئيس المكلّف في تأليف الحكومة، وإن اقتضى امرار السنتين المتبقيتين في عمر الولاية في ظل حكومة تُصرّف اعمال. ما يعنيه موقف الرئيس ان توقيعه مرسوم تأليف الحكومة لا يتوقف على موافقته على اسماء الوزراء المسيحيين وحقائبهم، او على حصته هو، بل الاتفاق على اسماء الوزراء جميعاً، فرداً فرداً، ما دام توقيعه يمنح التشكيلة طبيعتها الدستورية، ويتيح لها ابصار النور. وسواء نُظر الى هذا الاعتبار كأحد مقاييس ما بات يُدعى وحدة المعايير، او عَدّ في صلب الصلاحية الدستورية لرئيس الجمهورية، فإن الحقيقة الجديدة المرتبطة بهذه الصلاحية، ان عون كرّس سابقة الشراكة الفعلية لرئيس الجمهورية في تأليف اي حكومة، وإن كانت هذه في مرحلتها الاولى غير الناجزة مهمة الرئيس المكلف.

لم يقل يوماً انه هو الذي يؤلف الحكومة، شأن ما اشاع الحريري مراراً كما لو ان الصلاحية مطلقة بلا قيود، او كما لو ان اياً من الرؤساء المكلفين اسلافه منذ اتفاق الطائف، ابان الحقبة السورية وبعدها، اعتاد بمفرده على تأليفها وقصر مهمة رئيس الجمهورية على التوقيع. في نهاية المطاف من دون توقيع رئيس الدولة، يفقد الرئيس المكلف اي صلاحية تقريرية. اهمية السابقة ان اياً من رؤساء الجمهورية الذين سيخلفون الرئيس الحالي، لا يسعه بعد الآن التفريط بها او اهمالها.

ثاني الضوابط، اصرار الحريري على التمسك بتكليفه، ورفضه الاعتذار اياً تكن وطأة الضغوط التي سيجبهها، وإن هو قبالة رئيس للجمهورية تصعب المساكنة معه، ما دام الدستور لا يقيّده بمهلة، ليس لأحد - بما في ذلك الغالبية النيابية صاحبة التفويض بفشله ان عليه ان لا يعترف يوماً بالائمة إمّا على رئيس الجمهورية غير المتعاون، او على الكتل والقوى السياسية وشروطها.

يفترض ذلك ان كل رئيس مكلف هو صاحب حق، ليس قابلاً للتنازل. مصيب وإن اخفق، او تكاسل في العثور على الحلول، وليس ثمة سبب يحمله على التخلي عن هذا الامتياز. سبق للرئيس رفيق الحريري ان اعتذر مرتين عن عدم تأليف حكومة، اولى بعد تكليفه عام 1998 وثانية قبل تكليفه عام 2004، من غير ان يرى اعتذاره يمسّ طائفته، او يتعرّض اليها ويهينها، او نعت التكليف بأنه خطها الاحمر. مقارنة كهذه هي حتماً ظالمة لعاب، لا لإبن لم يكن يوماً سرّ ابيه.

بزي الصامت المتذمر الى الجنوب لاجازة طويلة في انتظار حدث ما (هيثم الموسوي)

ليس الجانب الدستوري فحسب ما يعني الحريري او يتذرّع به، بل ثمة جانب شخصي لا يقل اهمية يحتاج اليه، بصفته رئيساً مكلفاً الى ما شاء، وضع الحريري في جيبه «بطاقة

> التكليف بطاقة التعريف الضرورية التي يحتاج اليها الحريري خارج البلاد

تعريف» يسعه التنقّل بها لمقابلة رؤساء الدول على انه الرئيس المقبل للحكومة اللبنانية. بطاقات الائتمان التي اتسمت بها سمعة والده حيثما حلّ تبخّرت، فإذا المرشح لترؤس حكومة لبنان تعوزه بطاقة تعريف فقط. من دونها هو نائب ورئيس كتلة، كلاهما غير كافيين كي يُحتفل به حيثما يهبط. فكيف اذا كان مثقلاً بالخصومات، بلا ظهير عربي اعتاده بيته منذ الحريري الأب، حاملاً على ظهره اكياس اخفاقاته وافلاس شركاته وديونه المتنقلة ما بين البلدان؟ اضف فقدانه زعامته المطلقة لطائفته في الداخل التي احتاجت منذ عقد الاربعينات، وليس منذ ايام والده الراحل فحسب، الى ظهيرها السعودي سياسياً ودينياً ومالياً. تصبح الابواب اكثر ايصاداً حينما يتيقّن من ان الرابط الوحيد، الاخير المتبقي، الذي لا يزال يجمعه بالرياض حتى الآن هو الجنسية السعودية، اذ تجعله ابداً طائعاً فيها.

ببطاقة التعريف ذهب في عطلة الاعياد الى الامارات العربية المتحدة، ومنها الى تركيا، ثم عاد اليها. في الرحلة الاولى الى ابو ظبي زار حلّ تبخّرت، فإذا المرشح لترؤس حكومة لبنان تعوزه بطاقة تعريف فقط. من دونها هو نائب ورئيس كتلة، كلاهما غير كافيين كي يُحتفل به حيثما يهبط. فكيف اذا كان مثقلاً بالخصومات، بلا ظهير عربي اعتاده بيته منذ الحريري الأب، حاملاً على ظهره اكياس اخفاقاته وافلاس شركاته وديونه المتنقلة ما بين الاولى، «وهي التسوية. لا بدّ من تسوية بما يتعلّق بالحكومة... لا أحد مهتم بلبنان. كان هناك شيء من الاهتمام من قبل فرنسا ولا يزال، لكن علينا أن نهتم بأنفسنا وبحلّ العقد الداخلية». يتصرف جنبلاط كمن يوصل رسالة إلى المعنيين مفادها: «أعطوني المقعد الوزاري الذي أريد، ولا تُخصّصوا حقيبة لأخصامي في الطائفة، وستنالون سكوتي». خلال مقابلته، زعم جنبلاط وجود «غرف سوداء. هناك سليم جريصاتي والمدام عون (القاضية غادة عون)، يتحكّمان بالقضاء ويحكمان، وهناك غرف عسكرية غريبة عجيبة»، قبل أن ينتقل إلى التصويب على حزب الله، واصفاً إياه بأنّه «حزب قوي جدّاً ومن خلفه دولة قوية جدّاً اسمها الجمهورية الإسلامية. فهل تعترف بلبنان الكبير، أم أننا نحن فقط مقاطعة من المقاطعات من الجمهورية الإسلامية بين لبنان وسوريا والعراق؟ هذا السؤال».

تقرير

تهافُت سياسي على استيراد اللقاحات

ميسم رزق

قبل إقرار مجلس النواب قانون السماح باستيراد لقاحات كورونا وبعده، دخلت «كورونا» سوق السياسة. مبادرات عدة بدأت، بعضها أعلن عنه وأخرى تحاط بالكتمان، لاستيراد اللقاح و«إنقاذ» اللبنانيين من الجائحة.

مبادرات لأحزاب وسياسيين تسعى الى تحويل تهديد الفيروس الى فرصة لرفع الجماهيرية. وهي بدأت مع تسريب معلومات عن جهود يقوم بها رئيس الحكومة المكلّف سعد الحريري للحصول على مليون جرعة من اللقاح الصيني هبة من الحكومة الإماراتية. بصرف النظر عن «الهدف الإنساني» للمبادرة، لا يلغي ذلك أن هذه المساعي تستبطن، أيضاً، توظيف الجائحة في خدمة رئيس مازوم سياسياً وانتخابياً.

المبادرة الحريرية، التي لا تزال نتائجها مبهمة، لم تُعدّ وحيدة. أول من أمس، أعلن النائب فؤاد مخزومي على حسابه على «تويتر» حصول مؤسسته على موافقة مبدئية من وزارة الصحة على استيراد اللقاح «بهدف تلقيح الراغبين مجاناً». وأمس، طلب رئيس حكومة تصريف الأعمال حسان دياب من السفير الألماني في بيروت مساعدة لبنان في توفير مليوني لقاح إضافي. وقبل أيام، وزّعت القوات اللبنانية في بعض مناطق سيطرتها دواء «أيفرماكتين» الذي يُروّج أنه يستخدم في علاج المصابين بالفيروس، ودخلت أيضاً على خط تأمين اللقاح، مع معلومات عن مساعٍ يبذلها رئيسها سمير جعجع لدى مسؤولين إماراتيين لتظفر معراب بالهبة بدلاً من الحريري. لا تؤكّد مصادر القوات هذه المعلومات ولا تنفيها، لكنها تشير إلى أن «داخل الحزب قطاعاً يهتم بالمصالح الطبية، ويتواصل مع الجسم الاغترابي للمساعدة في توفير اللقاحات». وتلفت الى أن «دورنا مكمل لدور الدولة للدفع في تسريع الاستيراد، والتنسيق مع القطاع الخاص، وخصوصاً أن الاستيراد يجب أن يُستتبع بخطوات لجهة التخزين والتوزيع، وهو من اختصاص الشركات الطبية وليس الأحزاب». ويؤكد مسؤولون في مكتب مخزومي أن «مؤسسة مخزومي تعمل حالياً على آلية لتأمين اللقاحات بعد حصولها على الموافقة المبدئية»، ولم تحدّد بعد الجهة التي ستستورد منها اللقاحات». يرفض هؤلاء وضع المبادرة في إطار سياسي، فـ«المؤسسة منذ أكثر من عشرين عاماً تقدّم المساعدات والخدمات وليست بحاجة الى الاستثمار بقضية إنسانية»، مشيرين الى أن «اللقاح لن يُحصر بأهالي بيروت، فالمؤسسة لم تسأل يوماً عن هوية المحتاجين. وهناك داتا يُعمل عليها لحالياً لتحديد الفئات الأكثر حاجة للحصول على اللقاح».

> القوات: تواصل مع الجسم الطبي في الاغتراب للمساعدة في الحصول على لقاحات

صحيح أن تفكّك الدولة وغياب المؤسسات والتخبّط الذي تعيشه في مواجهة كورونا يجعل أي مبادرة، ومن أي طرف، عاملاً مساعداً لفرملة عدّاد الإصابات كما عدّاد الموت. لكن، هل يُمكن إخراج هذه المبادرات من إطارها السياسي؟ في لبنان كل شيء قابل للتوظيف، حتى صحة الناس يُمكن الاستثمار فيها سياسياً وانتخابياً. وتهافت أطراف سياسية للحصول على اللقاحات يدخل في سياق اللعبة المعهودة لاستقطاب الولاءات. وفي هذا السياق، يبدو التنافس جلياً، بأبعاد سياسية وانتخابية، بين الحريري ومخزوم، إذ معلوم أن الأخير مرشّح دائم للرئيس ميشال عون لتأليف الحكومة. فهل فتح الباب أمام مبادرة رئيس حزب الحوار الوطني، بمعزل عن الأهداف الإنسانية للمؤسسة، يأتي في سياق التقليل من حجم مبادرة الرئيس المكلف وضرب ما يحاول تصويره على أنه الأقدر على المساعدة؟ وهل تعتبر محاولة القوات الالتفاف على مبادرة الحريري جهوداً لضرب عصفورين بحجر واحد؟ أي إثبات أن علاقتها بدول الخليج أفضل من علاقة الحريري معها، والظهور في الشارع المسيحي بصفتها الأحرص والأقدر على المساعدة بما يخدم حملتها ضد التيار الوطني الحر؟ لا شك بأن ما من عمل يقوم به السياسيون في البلد إلا كانت في تفاصيله مصلحة شخصية، هذا ما ستؤكده الوقائع يوم وصول اللقاحات من خلال المستفيدين منها، وسيتبيّن حينها إن كانت مبادرات وطنية أو خاضعة لحسابات ضيقة.

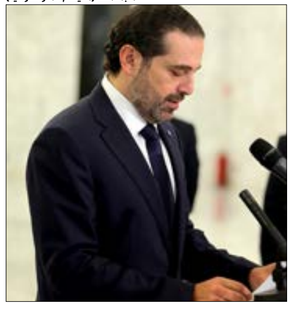
نتائج مبادرة الحريري لا تزال مبهمة (هيثم الموسوي)

تأجيل موعد إنعقاد
الجمعية العمومية غير العادية

نظراً للظروف الصحية الطارئة نتيجة جائحة كورونا وتبعاً لتمديد العمل بقرار الإغلاق العام، يؤجّل موعد إنعقاد الجمعية العمومية غير العادية الذي كان مقرراً يوم الإثنين الواقع في ٢٠٢١/٠١/٢٥ إلى تاريخ يحدّد لاحقاً.

بنك لبنان والمهجر ش.م.ل

كورونا

57 وفاة... والأوكسيجين «محتجز» في مصرف لبنان

مراكز الحجر في صور مهدّدة بالإقفال

بلال قشمر

مع ارتفاع عدد الإصابات اليومية بفيروس كورونا في منطقة صور، تزداد الحاجة إلى رفع عدد الأسرّة في المستشفيات وتخصيص أقسام لمعالجة المصابين، كما يزداد الطلب على مراكز الحجر التي خُصّصت للمصابين.

قبل أكثر من ثلاثة أشهر جهّز اتحاد بلديات قضاء صور بالتعاون مع منظمة اليونيسيف والصليب الأحمر اللبناني مركزين للحجر الصحي في قسم من مستشفى قانا الحكومي (54 سريراً) ومركز النجدة الشعبية (32 سريراً) للمصابين غير القادرين على الحجر في منازلهم، حفاظاً على سلامة عائلاتهم وتخفيفاً للأعباء المادية عن المصاب طيلة فترة الحجر. وشكل المركزان اللذان استفاد منهما نحو 164 مصاباً ملاذاً آمناً لهؤلاء للعبور من الإصابة بالفيروس إلى مرحلة التعافي منه.

حالياً، يعاني المركزان من شح التمويل مما يهدد بتوقفهما عن تقديم الخدمات في ظل ارتفاع عدد المصابين الذي يصل إلى نحو 180 يومياً في قضاء صور. وأوضح رئيس اتحاد بلديات قضاء صور حسن دبوق أن توقف تمويل المنظمات الدولية لكلفة التشغيل وتقديم الخدمات للمصابين يهدّد بإقفال المركزين في وقت يتفاقم الوضع الوبائي في المنطقة.

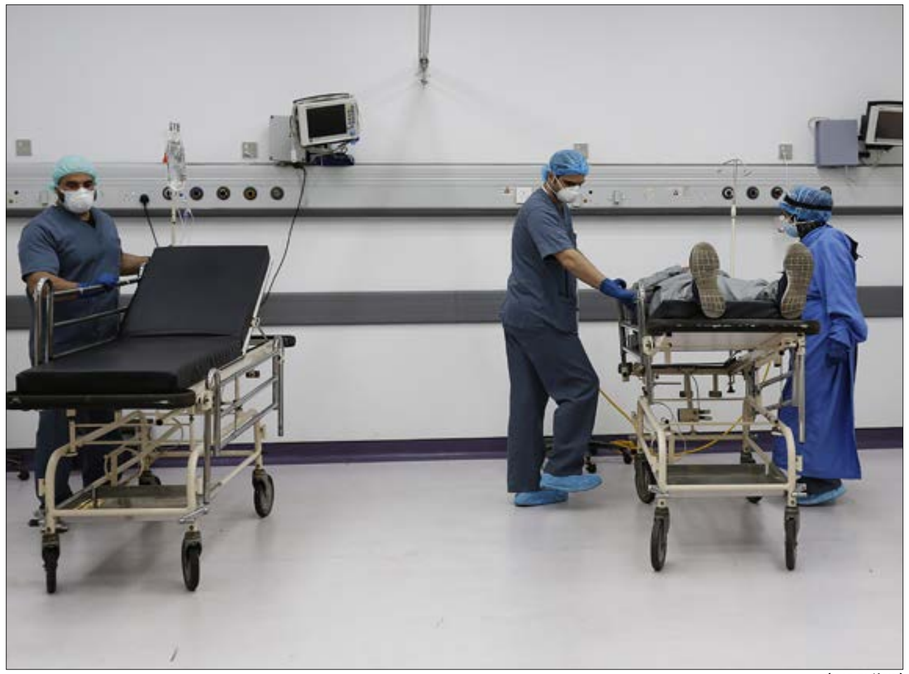

(مروان بو حيدر)

راجانا حميّة

في وقت تؤجّج فيه جرعة الأوكسيجين بـ 500 ألف ليرة يومياً، يحتجز مصرف لبنان معاملات تلك الأجهزة، كما الأدوية، وكان فيروس كورونا يحصد الأرواح في مكان آخر. يصرّ «بنك البنول» على أن يكون شريكاً في موت كثيرين بسبب تلكؤه في تسيير معاملات الدواء والمستلزمات التي تكاد توازي قيمة رغيف الخبز. اليوم، في ظل الآلية التي فرضها المصرف مدفوعاً بـ«نقص العملة الأجنبية»، يتسبب تأخير المعاملات والتحويلات في تأخير استيراد الأدوية والأدوات الطبية اللازمة التي تستخدم في معظمها لمواجهة فيروس «كورونا». وإذ لم يعد الواقع يحتمل مزيداً من التأخير، خرج «تجمع المستشفيات الجامعية» ببيان، أمس، طالب فيه المصرف المركزيّ بـ«الإفراج» عن المعاملات العالق بعضها منذ أشهر، إذ إن «ازدياد النقص في المستلزمات الطبية والأدوية لدى المستشفيات يزيد من تعطيل دورة العمل فيها ويجعلها أقل قدرة على تقديم الخدمات الاستشفائية، وخصوصاً في ظلّ جائحة كورونا حيث إن عدد حالات الدخول الباردة يتقلص وينحصر بالحالات الطارئة».

صحيح أن ما يجري لا يعبّر عن أزمة مستجدّة، وإنما خطورتها اليوم تكمن في أن النظام الصحي الاستشفائي في مواجهة خاسرة إلى الآن مع فيروس كورونا. فكلما ازداد النقص واشتدت الأزمة، زادت الخسائر التي يسجلها عدّاد الوفيات، وهو الذي أعلن أمس عن 57 حالة وفاة خلال 24 ساعة. وما يزيد الطين بلّة التسارع الذي تسجّله المؤشرات الأساسية، ولا سيما الحالات الحرجة في المستشفيات ونسب إيجابية الفحوص، كما الحدوث. فقد ارتفع عدد الحالات الحرجة في غرف العنايات الفائقة إلى 892 حالة، منها 289 مع أجهزة تنفس اصطناعي. أما إيجابية الفحوص، فقد تخطّت عتبة العشرين في المئة، حيث سجلت أمس 21.7%. إلى ذلك، تراجع عدّاد الإصابات بنسبة طفيفة عما كان عليه أول من أمس وما قبله، إلى 3220 إصابة من أصل 20 ألفاً و137 فحصاً أجريت خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية. مع ذلك، لا يعدّ هذا التراجع دليل «عافية» في ظلّ بقاء العدّادات الباقية على مسارّها التصاعدي.

> **يتسبّب تأخير المعاملات والتحويلات في تأخير استيراد الأدوية والأدوات الطبية**

أما خطورة هذا التصاعد، فهو أنه يحدث في وقت تتناقص فيه الأسرّة الشاغرة القليلة المتبقية، وفي ظل «امتلاء الطوارئ في معظم المستشفيات»، على ما قال أمس المدير العام لمستشفى بيروت الحكومي، فراس أبيض، داعياً في الوقت نفسه «المستشفيات الخاصة إلى رفع قدرتها الاستيعابية لتجاوز هذه المرحلة الصعبة. أما الدعوة الأخرى، فوجّهها أبيض إلى المواطنين على اعتبار أن «الالتزام الجيد للمواطن اليوم هو انعكاس للجدية التي عملت فيها الدولة».

حق الرد

تعليقاً على التقرير الذي نشرته «الأخبار» (22 كانون الثاني 2021) بعنوان «لا panadol من دون معجون أسنان: آخر إبداعات مافيات الدواء» يهمنا التأكيد أن شركة «سادكو»، بصفتها الموزع لأصناف «بانادول»، لا نملك أي وكالة ولا توزع معجون أسنان. كما أن الشركة تقوم بتوزيع الدواء ومنها أصناف البانادول إلى كل الصيدليات في مختلف الأراضي اللبنانية من دون قيد أو شرط.

رد المحرر

يهم «الأخبار» أن توضح أن اسم البانادول ورد على لسان أحد الصيادلة كمثال من أجل تقريب الفكرة للقراء ولم يكن مقصودا بحرفيته. أما القصد من الإستعانة بهذا المثال، فهو للتدليل على ما تقوم به بعض الشركات وأصحاب المستودعات في الترويج لأصنافها الدوائية بهذه الطريقة. فاقتضى التوضيح.

«تجربتي مع الكورونا» أوّل «لقاح» للعوارض المجتمعية!

نظمية الدرويش

رغم «التباعد الاجتماعي» والعزلة القسرية تحت تهديد فيروس كورونا، «بعدا الدنيا ما خلّيت» على صفحة مجموعة «تجربتي مع الكورونا» على فايسبوك. «في ظلّ انتشار جائحة أبعدت الناس عن بعضهم وأذتهم صحياً ونفسياً وحتى مادياً، ما زلت تجد أن الناس لبعضها»، هكذا تلخّص فاطمة مرتضى، وهي واحدة من مؤسّسي المجموعة، ثمرة أشهر من العوارض الجسدية و«المجتمعية» التي «ظهرت» على الجميع، مصابين وغير مصابين.

المجموعة انطلقت قبل نحو ثلاثة أشهر، وتضمّ اليوم أكثر من عشرة آلاف عضو فاعل ومبادر ومهتمّ ومتخصّص ومصاب حالي وسابق ومحتمل. ومن أكثر من جنسية عربية، «يجمعهم الخوف مما يجهلونه». هذا ما حثّ أميرة أحمد، مؤسّسة المجموعة، على مشاركة تجربتها مع الكورونا، وهي مريضة ربو عانت في تشرين الأول الماضي من عوارض الفيروس المؤذي. «الشعور بالعزلة وغموض الحالة بسبب قلة التوعية آنذاك ورداءة الخدمات الطبية» دفعها لإسماع صوتها لمن يشاركها المشاعر نفسها. الفكرة بدأت بـ«حديث بين صديقتين افتراضيتين، وتطورت سريعاً من مجرد إيصال الصوت إلى مجموعة جادّة تهدف إلى التوعية ودحض الشائعات ونشر قيم التضامن الاجتماعي وإرساء المعايير العلمية في تلقّي المعلومات عن الفيروس الذي كان حينها مُحاطاً بكثير من الغموض والأخبار الكاذبة»، ناهيك عن التعرّض داخل المجتمع لما يسمى بـ «الوسم» بعد الإصابة وما يخلّفه من آثار نفسية على المصاب. تؤكد أحمد أن الإقبال على الانضمام إلى المجموعة منذ الأيام الأولى لتأسيسها «يدل على الحاجة الملحّة لدى هؤلاء للاحتواء في مرحلة الإصابة».

تشكّل المجموعة «بيئة حاضنة» للمصابين والمتعافين والمهتمين. يشارك هؤلاء تجاربهم بمناشير يومية لا تخلو من الدعابة أو السخرية لكسر القلق والتوتر الذي يسيطر عليهم وعلى غيرهم من المصابين. و«في بعض الحالات فإنّ مجرد الأطلاع على حالات مشابهة لتلك التي تمرّ بها يشجعك على التعامل مع أعراضك على أنها طبيعية وبهلع أقل».

تقدّم المجموعة نفسها على أنها منصّة غير متخصصة ولا ترمي إلى النصح الطبي. إلا أنها، إضافةً إلى الدعم النفسي، تشكل حلقة وصل بين الأطباء والمختصين وبين أعضاء المجموعة ضمن حلقات مباشرة تفاعلية على الصفحة، أو عبر مقاطع توعوية وإرشادية مصورة، حول ضرورة التلقيح مثلاً، أو المبادرة للتبرع بالبلازما من قبل المتعافين. كما أمّنت المجموعة في بعض الأحيان تواصلاً بين مصابين وأطباء كانوا قد أبدوا استعدادهم لتقديم المشورة الطبية، إما بنقل السؤال إلى الطبيب المختص أو عبر اتصال مباشر به. الرسائل والتعليقات على الصفحة لا تخلو من مرضى يسألون عن دواء «مقطوع»، أو أقرب مركز فحص، أو تأمين وحدات دم أو سرير في مستشفى لحالة حرجة، ما جعلها «قاعدة بيانات» لمن يود البحث عن أي معلومة ذات صلة، وشبكة دعم قوامها الأعضاء أنفسهم. ناهيك عن أن تنوّع اختصاصات المشرفين على المجموعة بين القانون والاجتماع والتنمية المستدامة وإدارة الأزمات والإعلام وتوظيف قدراتهم في إدارتها وتوجيه محتواها، عبر تصويب الأفكار الخاطئة وتوخّي المصادر الموثوقة، ساعد في إكسابها ثقة الأعضاء والمتخصصين، وأثمر مبادرات ناجحة بالتعاون مع عدد من الأطباء والباحثين وبرامج التوعية، وآخرها حملة توعية ستُبصر النور قريباً بالتعاون مع الجامعة اللبنانية.

> **تنوّع اختصاصات المشرفين ساعد في إكساب المجموعة ثقة الاعضاء والمتخصصين**

وجهة نظر

طلاب لبنان «الطشّ» أم الضحية؟

طنوس شلهوب *

أثار عنوان مقال الباحث ماجد جابر في «الأخبار» (19 كانون الثاني 2021) بعنوان «طلاب لبنان الطشّ عالمياً» ردود فعل شاجبة على مواقع التواصل الاجتماعي، عدّته ظالماً بحق الطلاب اللبنانيين. الكاتب استند في صياغة خلاصته على نتائج مشاركة تلامذة المدارس الرسمية والخاصة في الاختبار الدولي «اتجاهات في دراسة الرياضيات والعلوم الدولية» (TIMSS) لعام 2019، حيث حلّ لبنان في المرتبة 38 في العلوم، وفي المرتبة الأخيرة عربياً من بين 10 دول عربية مشاركة، المرتبة 32 دولياً في الرياضيات، والرابعة عربياً.

إذا حصرنا مقياس كفاءة التحصيل العلمي بهذه الاختبارات لا ينبغي الاستناد إلى نتائج 2019 فحسب، إذ أن نتائج اختبارات الأعوام السابقة لم تكن أفضل. وفي الكتيب الذي أصدره المركز التربوي للبحوث والانماء، في شباط 2018 (المدرسة في لبنان: أرقام ومؤشرات)، ورد أن لبنان يسجل معدلات متدنية في الفهم الكتابي للغتين الفرنسية والانكليزية وفي الرياضيات والعلوم، نسبة إلى متوسط نتائج برنامج تقييم التلامذة الدولي (PISA). وعلى صعيد المراتب، «احتل لبنان المرتبة الثالثة في الرياضيات والسابعة بين الدول العربية المشاركة في اختبارات (TIMSS) للصف الثامن أساسي عام 2015، لكن متوسطاته كانت أدنى من المتوسطات العالمية».

اختبارات TIMSS تعدّها الجمعية الدولية لتقييم التحصيل التربوي، وهي، بحسب تعريفها لنفسها، منظمة دولية مستقلة، يشارك فيها أكثر من 60 دولة، وتضم مؤسسات بحثية وطنية ووكالات بحثية حكومية وباحثين وتسعى إلى فهم التعليم وتحسينه في أنحاء العالم (أكثر من 100 نظام تعليمي). وتتيح الدراسات المقارنة التي تجريها الجمعية للأنظمة التعليمية فهماً أفضل للسياسات والممارسات التي تعزز التقدم التعليمي. الهدف من هذه الدراسات فهم الروابط بين المناهج المعلنة في السياسات التربوية، والمناهج المُطبقة، والنتائج المُحصلة فعلياً من الطلاب. وقد أصدرت الجمعية دليلاً إرشادياً لتعريف التلامذة والاساتذة بآلية إختبارات TIMSS، وتحسين كفاءة أداء الأساتذة في طرائق التعليم نحو المستويات العقلية العليا (التطبيق والإستدلال) التي تتضمنها الأسئلة، وتدريبهم على صياغة الأسئلة طبقاً لهذه المفاهيم، وتحضير الأساتذة لتدريب الطلاب على أسئلة الإختبارات الدولية، ومحاكاتها في بناء أسئلة جديدة وفق منهجية الإختبارات. يعني ذلك أن نتائج الإختبارات ليست معياراً لمستوى التلامذة بمقدار ما هي معيار شرطي لقياس كفاءة النظام التعليمي. والمعيار الشرطي هنا ناتج من أن من يتبّع الدليل الإرشادي يمكنه تحقيق نتائج جيدة، ومن لا يتحضر تكون نتائجه متدنية. وبالتالي، من الخطأ المنهجي اعتبار نتائج الاختبار معياراً للقول إن طلاب لبنان «الطش» عالمياً، في حين أن عدداً كبيراً من الطلاب اللبنانيين ينتسبون إلى الجامعات العالمية ويحققون نتائج جيدة.

هل هذا يعني أن نظامنا التعليمي بخير؟

أورد التقرير الوطني بشأن تطور التربية في لبنان المقدم إلى مكتب التربية الدولي في جنيف عام 2001 نتائج عدد من الدراسات، نذكر منها:

- دراسة قياس التحصيل العلمي (بين 1994 و1998) التي أظهرت تبايناً في نوعية التعليم على المستويات كافة، خصوصاً في القطاع الرسمي والأرياف، وضعفاً في اكتساب المهارات الحياتية وفي المستويات العقلية العليا.

- دراسة واقع المدرسة الرسمية والإدارة التربوية (1998) التي بيّنت أن أكثر من نصف مديري المدارس الرسمية يضطرون لتغيير جداول توزيع الساعات مرات عدة خلال العام الدراسي بسبب قرارات نقل المدرسين.

- دراسة التوجيه الدراسي والمهني (1999) التي كشفت أن 58% من طلاب صف الثاني الثانوي لا يملكون معلومات عن التخصصات الدراسية التي ينوون الالتحاق بها، وأن هناك تبايناً بين اختيارات الطلاب واحتياجات سوق العمل، وأن 65% اختاروا مهناً تشكل فقط 20% من حاجات سوق العمل.

أما كتيب المركز التربوي فيظهر تطور نظام التعليم العام ما قبل الجامعي في لبنان منذ العام الدراسي 2011 - 2012 ولغاية 2016 - 2017، ويسجل تزايداً في عدد تلامذة لبنان بشكل مطرد، نظراً لازدياد عدد التلامذة السوريين الذين يتابعون المناهج اللبنانية من جهة، ولتمديد المرحلة ما قبل الابتدائية من سنتين إلى ثلاث، مع قبول التلامذة ابتداءً من عمر 3 سنوات من جهة ثانية. واستقطبت المدارس الخاصة نحو ثلثي التلامذة، رغم أن عدد المدارس الرسمية يفوق الخاصة، وتبين أن أكثر من 6% من المدارس لا يتجاوز عدد تلامذتها الـ 100 ، وأن ثلث الصفوف يزيد عدد تلامذتها على 30 ، وأن معدل التلامذة للمعلم الفعلي الواحد في القطاع الرسمي تدنى مقابل ارتفاعه في القطاع الخاص غير المجاني بنسبة من 9 إلى 21، وأن نسبة الأساتذة المتعاقدين تجاوزت 33%، كما أن ثلثي الأساتذة يحملون شهادة جامعية غير تربوية. أما على مستوى تحصيل المواد التعليمية بين الفروع الأربعة لشهادة الثانوية العامة، فتسجل كل الفروع مستويات تحصيل متدنية في اللغة العربية والتربية المدنية وعلوم الحياة.

في المقابل، أقرت الحكومة اللبنانية عام 1994 خطة النهوض التربوي على أن تنجز خلال 9 سنوات، وتمثلت بصياغة أهداف موحَّدة وموجِدة للتعليم، أساسها تعزيز التعليم الرسمي وضمان حرية التعليم الخاص، وانبثقت عنها عام 1995 خطة هيكلية التعليم والمناهج الجديدة التي طُبّقت تدريجياً وأنجزت عام 2000 - 2001. وانبثقت عن الخطة مناهج جديدة عام 1997. ومن النقاط التي شملتها أطر السياسة التربوية: تطوير مفهوم التقييم التربوي في الامتحانات وفقاً لمتطلبات التعليم العالي وسوق العمل، ورفع كفاءة التعليم من خلال تطوير برامج إعداد المعلمين وتدريبهم. وأنيط بالمركز التربوي وضع مشاريع الخطط التربوية، دراسة المناهج، انتاج الكتب، إقرار نمط أسئلة الامتحانات الرسمية بالتعاون مع دائرة الامتحانات في وزارة التربية. واعتُبرت هذه الامتحانات مؤشراً أساسياً لتقييم فعالية النظام التربوي.

> **النظام التعليمي ليس بخير بدليل الهوة بين سياسة النهوض التربوي والنتائج المحققة**

من هنا تتضح الهوة الكبيرة بين الأهداف التي وضعتها سياسة النهوض التربوي وبين النتائج المحقّقة، والتي يقر بها المركز نفسه في الكتيب. ولنتمكن من فهم أسباب هذه الإختلالات ينبغي العودة إلى النظام التربوي نفسه والتوقف عند نقاط عدة:

- على صعيد الامتحانات الرسمية نشهد نسب نجاح عالية، أي أننا في مواجهة تناقض فاضح بين نسب نجاح تشير إلى نظام تربوي مثالي، وبين مؤشرات تبين العكس باعتراف القيمين على التربية. إن تنميط المسابقات الرسمية ترك نتائجه السلبية حتى على المواد العلمية مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، وصارت كل العملية التدريسية تنحصر في إعداد التلميذ وتأهيله للنجاح في الامتحانات من خلال شكل محدد للإجابة. والتعديل الذي جرى على برامج التعليم الثانوي لم يُناقش مع حلقة التعليم الجامعي، ولم يُقرّ بما يعزز الاعداد الجامعي كما ورد في خطة النهوض التربوي.

- في نظام تربوي تجد المدرسة الرسمية نفسها في منافسة غير متكافئة مع المدارس الخاصة وهي بمعظمها تجارية وطائفية، تصبح الامتحانات الرسمية أكثر من ضرورية لتكون معياراً موحداً لكل التلامذة في القطاعين الرسمي والخاص، ولتمثل المجال الذي تمارس فيه الدولة سيادتها في التربية. مع ذلك، تخلت الدولة عن سيادتها عندما سمحت لمدارس خاصة باعتماد برامج البكالوريا غير اللبنانية واعترفت بنتائجها. وفي هذا السياق ينبغي الإبقاء على الامتحانات الرسمية مع إعادة نظر في كل سياقها. كما أن ضمان حرية التعليم الخاص سمح للمدارس الخاصة بتحويل الكتاب المدرسي سلعة تجارية وبلجوء بعضها الى فرض كتب أجنبية تتضمن نصوصاً لا تلتزم بقانون مقاطعة العدو الاسرائيلي. علماً أن توحيد الكتاب المدرسي لا ينبغي أن ينحصر في كتابي التاريخ والتربية، إنما يفترض أن يشمل كل المواد لتوحيد الاعداد والتكوين، وإخراجه من بازار الاستغلال المادي للاهل. وتكوين المواطن لا يمكن أن يتحقق في ظل تعليم ديني يُفترض أن يكون جزءاً من مادة الثقافة العامة، ويتولى تدريسها أساتذة من متخرجي كلية التربية في اختصاص الفلسفة والانسانيات.

- إن مخرجات المرحلة الثانوية محددة بأربعة مسارات، ومن غير المفهوم عدم وجود مسارات لها علاقة بالابداع الفني من موسيقى ورسم ومسرح وغناء وبالمهارات الرياضية المختلفة، وكأن لا مكان في النشاط البشري للابداع الفني والرياضي، في حين أن قسماً من التلامذة يتميزون بقدرات كامنة في هذه المجالات، ويضطرون لاختيار مسارات لا تتلاءم مع رغباتهم. وعلى مستوى البرامج، يوجد عدد من المواد التي تقوم على التلقين والحفظ، مثل التاريخ والجغرافيا والتربية، بطريقة معزولة عن الحياة. أما مادة اللغة العربية فتشكل عموماً أزمة عند التلامذة، والسبب لا يكمن في صعوبة القواعد والاعراب بمقدار النظرة الاجتماعية السائدة تجاه اللغة العربية. لذا نحن بحاجة الى إعادة النظر بمحتوى المادة وكيفية توزيعه على السنوات الدراسية.

- يشير تقرير المركز التربوي الى أن ثلثي الاساتذة يحملون شهادة جامعية غير تربوية. والملفت، أنه في معظم المدارس الخاصة، وبنسبة أقل في الرسمية، يتخطى عدد التلامذة في الصف الثلاثين، ما يشكل ضغطاً كبيراً على الاستاذ لأنه لن يتمكن خلال الحصة من الاحاطة بكل التلامذة ومتابعتهم فردياً، خصوصاً في ظل المنهجية الجديدة التي تفترض استيعاب التلميذ في الصف للمادة بما لا يحمله أعباءً إضافية للعمل في المنزل. وفي كثير من المدارس الخاصة، يصل عدد التلامذة في الصف في المرحلة المتوسطة إلى 40، مع حمل تدريسي على الاستاذ يتعدى 25 ساعة أسبوعياً، ما يخفض من كفاءة العملية التدريسية. إلى ذلك، يتعرض الجسم التعليمي في القطاع الخاص لابشع استغلال من أصحاب المدارس، في ظل ضعف التنظيم النقابي ما يطلق يد أصحاب المدارس، والضحية هم التلامذة والأساتذة.

- إن الادارة التربوية موزعة بين وزارة التربية والمركز التربوي للبحوث والانماء، وفي الموقعين يُعيّن موظفون وفق معايير الزبائنية، والامر يتعلق بالقطاع التربوي حيث الكفاءة ينبغي أن تترافق مع قيم النزاهة والاخلاق والدفاع عن القطاع العام والمدرسة الرسمية. عدم احترام هذه المعايير سيفضي طبعاً الى النتائج الواردة أعلاه، ناهيك عن التنازع على الصلاحيات والادوار والمغانم ضمن المعادلات الطائفية في توزيع المواقع وتعيين اللجان.

إن تفاقم الوضع على الصعيد التربوي هو جزء من الانهيار العام الذي أصاب، ولا يزال كل نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية. والتسارع في حصول هذا الانهيار يرتبط كما بتآمر السلطة السياسية على التعليم الرسمي، كذلك بانكفاء أصحاب المصلحة في الدفاع عنه، بحيث انحصر همّ الأدوات النقابية للأساتذة في المطالب المادية.

في ضوء ما تقدم، يعاني النظام التربوي (الذي لم نتناول فيه المسارين المهني والجامعي) من خلل بنيوي، يعكس من جهة نمط الاقتصاد الريعي التابع، وتتمثل وظيفته بإعداد الكادرات وحملة الشهادات بهدف تصديرها إلى الخارج، وتنعكس فيه من جهة أخرى البنية الطائفية للنظام، في ظل غياب أي رؤية تنموية تجعله ملبياً للاحتياجات الاجتماعية، وبالتالي، لا يمكن تجاوز هذا الخلل بمعزل عن مشروع سياسي وطني يعيد صياغة وظيفة لبنان ككيان سياسي بعد تراجع وتلاشي الوظيفة التاريخية التي أنشىء من أجلها. وفي ظل الانهيار الذي نشهده، لا أمل حالياً بإمكان تحقيق أي إصلاحات على مستوى النظام التربوي، إنما لا بد على الأقل من تحفيز النقاش وتبادل وجهات النظر على أمل صياغة مسودة تشكل مادةَ بحث وعنواناً للنضال في ميدان التربية والتعليم بين أصحاب المصلحة في بقاء التعليم الرسمي وتطويره، الى جانب الملفات الاخرى المطروحة على بساط التشريح.

* أستاذ في كلية الهندسة في الجامعة اللبنانية

قضية

فضيحة جديدة «تهزّ» كرة القدم
لاعبان من الدوري الإسبانيّ مهدّدان بالسجن

عرف العديد من لاعبي كرة القدم «محطّات» في حياتهم الشخصية، وضعتهم خلف قضبان السجون بدلاً من التألّق في ميادين الكرة. مواقف «غير أخلاقية» وجرائم صادمة أنهت مسيرة لاعبين كُثُر، في حين جمّدت آخرين لفترات طويلة. آخر هؤلاء، لاعبان من الدوري الإسباني حُكم عليهما بالسجن لمدة عامين بسبب انخراطهما في «نشاط جنسي فاضح»

حسين فحص

احتلّت فضائح نجوم كرة القدم عناوين الصحف في السنوات الماضية. لاعبون كُثُر حُكم عليهم بالسجن مع وقف التنفيذ إثر قيامهم بجرائم مالية مثل التهرّب الضريبي، في حين سُجِنَ البعض بسبب جرائم كبيرة.

برونو دي سوزا، آدم جونسون، إدموندو، نزار الطرابلسي، رينيه هيغيتا وغيرهم من لاعبي الكرة الذين سُجنوا بسبب جرائم مختلفة، مثل الاعتداء على قاصر، التورّط بأعمال إرهابية، التعامل مع العصابات، القتل، الخطف...

> **من غير المرجّح أن يقضي اللاعبان وقتاً طويلاً خلف القضبان**

لاعبان جديدان ينتقلان من قائمة الرياضيين إلى عالم الإجرام، وهما ينشطان في الدوري الإسباني، حيث أفادت صحيفة «آس» الإسبانية أن محكمة سان سيباستيان الجنائية حكمت بالسجن لمدة عامين على لاعبين إسبانيَّين لعبا في فريق إيبار، وهما سيرجي إنريك (30 عاماً) الذي لا يزال في النادي، وأنطونيو لونا (29 عاماً) الذي يلعب حالياً مع جيرونا.

وأشارت الوثائق إلى انخراط اللاعبين في نشاط جنسي بالتراضي مع شابة، لكنهما قاما بتصوير الفيديو دون موافقتها ثم شاركاه لاحقاً مع أشخاص آخرين عبر الرسائل على تطبيق WhatsApp، ما أدى إلى انتشار الفيديو على الإنترنت بعد ستة أشهر.

وأضافت الوثائق أن نشر الفيديو دفع الشابة، التي طلبت من اللاعبين التوقّف عن التصوير أثناء الفعل الجنسي، للتعرض لمشاكل نفسية، حيث طلبت المساعدة المهنية وتناولت الأدوية للتغلّب على التوتر، كما أخذت إجازة ستة أشهر من العمل.

يعود تاريخ اللقطات إلى عام 2016 وتم التقاطها بهاتف محمول، ما يجعلها جريمة تتعارض مع بند الخصوصية المنصوص عليها في المادة 197 من قانون العقوبات، لتسجيل الصور من دون موافقة طرف ثالث.

في غضون ذلك، أصدر اللاعبان بياناً عاماً قالا عبره: «في ضوء تداول مقطع فيديو جنسي على وسائل التواصل الاجتماعي يُظهرنا فيه، نحن الموقعين أدناه نريد أن نوضّح أن الفيديو يُظهر تسجيلاً لفعل خاص وقع بين بالغين موافقين تماماً، ضمن نطاق الحريات التي نتمتع بها جميعاً».

وأخذت المحكمة في الحسبان الاعتذارات المسجّلة من اللاعبين في الحكم الصادر بحقهما، حيث عرفا وضعهما كنماذج يحتذى بها وكانا «مدركَين أن لاعبي كرة القدم المحترفين يجب أن يكونوا قدوة في كل نواحي الحياة، وخاصة للأطفال»، كما برّأت شخصاً ثالثاً يدعى إيدي سيلفستر الذي اتُّهم أيضاً بهذه القضية.

وفقاً لصحيفة «ألوندو ديبورتيفو»، من غير المرجّح أن يقضي اللاعبان وقتاً طويلاً خلف القضبان من حيث المبدأ، حيث يجب أن يُعاقب المخالفون لأول مرة في إسبانيا بالسجن لمدة تزيد عن عامَين للوفاء بهذا الحد، مع الإشارة إلى أن الحُكم جاء أقل من طلب مكتب المدعي العام والادعاء الخاص، اللذين كانا يطالبان بأن يُحكم على كل لاعب بالسجن لمدة خمس سنوات على الأقل.

بالإضافة إلى مدة السجن، أُمِر اللاعبان بدفع 100 ألف يورو (121,230 دولاراً) كتكاليف قانونية بالإضافة إلى 10 آلاف يورو إضافية للضحية، كما تلقيا عقوبة خاصة بعدم الأهلية لحق الاقتراع.

لعب إنريك 11 مباراة في الدوري الإسباني هذا الموسم مع إيبار وسجّل مرة واحدة، في حين شارك أنطونيو لونا في 13 لقاء مع نادي جيرونا. ووفقاً لصحيفة «ماركا» الإسبانية، فإن الضرر الذي لحق بسمعة كلا اللاعبين كبير جداً، مع تحقّظات النواديين الإسبانيين حول مستقبليهما.

لعب سيرجي إنريك (30 عاماً) وأنطونيو لونا لمصلحة نادي إيبار (أ ف ب)

أبرز مباريات الأسبوع

السبت 2021/1/23

■ الدوري الإنكليزي
استون فيلا x نيوكاسل يونايتد 22:00
■ كأس الاتحاد الإنكليزي
ساوثهامبتون x آرسنال 14:15
تشيلتنهام تاون x مانشستر سيتي 19:30
■ الدوري الإسباني
اشبيلية x قاديش 17:15
ديبورتيفو ألافيس x ريال مدريد 22:00
■ الدوري الإيطالي
روما x سيينيزيا 16:00
ميلان x أتالانتا 19:00
أودينيزي x انتر ميلانو 19:00
■ الدوري الفرنسي
موناكو x مارسيليا 22:00

الأحد 2021/1/24

■ الدوري الإسباني
التشي x برشلونة 17:15
اتليتيكو مدريد x فالنسيا 22:00
■ الدوري الإيطالي
يوفنتوس x بولونيا 13:30
جنوى x كالياري 16:00
هيلاس فيرونا x نابولي 16:00
■ الدوري الألماني
شالكه x بايرن ميونيخ 16:30
■ الدوري الفرنسي
رين x ليل 18:00
سانت إيتيان x ليون 22:00
■ كأس الاتحاد الإنكليزي
تشيلسي x لوتن تاون 14:00
فولهام x بيرنلي 16:30
برينتفورد x ليستر سيتي 16:30
مانشستر يونايتد x ليفربول 19:00
ايفرتون x شيفيلد ويندزداي 22:00

لا ليغا

اختبار سهل للريال وأتليتيكو «يحلقان» في الصدارة

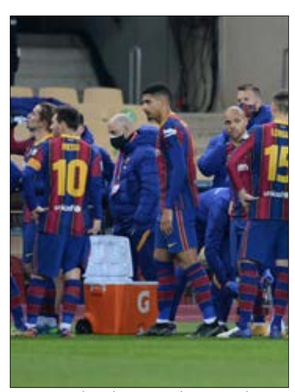
يلعب برشلونة مع التشي غداً الاحد (أ ف ب)

بعد تعادلين في المراحل الثلاث الماضية وخروج من نصف نهائي الكأس السوبر على يد بلباو، ثم الدور الـ32 لبسالة الكأس على يد فريق من الدرجة الثالثة، يسعى ريال مدريد إلى استجماع قواه والتركيز على اللحاق بجاره أتليتيكو قبل فوات الأوان، حين يحل على ضيفه الأفيس اليوم السبت (22:00 بتوقيت بيروت) في المرحلة 20 من الدوري الإسباني.

ويدخل حامل اللقب المرحلة ضد فريق أسقطه في عقر داره (2-1) في أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر، وهو متخلّف بفارق سبع نقاط عن جاره أتليتيكو الذي خاض أيضاً مباراة أقل من فريق المدرب الفرنسي زين الدين زيدان. هذا الأخير سيترك مكانه على مقاعد البدلاء لمواطنه ومساعده دافيد بيتوني بعد الإعلان عن إصابته بفيروس كورونا المستجد.

ورغم أنه سيكون غائباً عن الفريق بسبب الحجر الصحي الذي سيُبعده أيضاً عن لقاء المرحلة المقبلة على أقل تقدير ضد ليفانتي، يدرك زيدان أن خسارة ثانية هذا الموسم أمام الأفيس القابع في المركز السابع عشر بفارق نقطة فقط عن منطقة الهبوط، ستعقّد وضعه كثيراً وستطيح إلى حدّ كبير بآمال ريال في الاحتفاظ باللقب.

وعقب الخروج الأربعاء من الدور الـ32 لبسالة الكأس على يد الكوبانو بالخسارة (2-1) بعد التمديد، تحمّل زيدان «كامل المسؤولية»، وقال: «لقد حاولنا وقدّم اللاعبون كل شيء في الملعب. حصلنا على فرص لتسجيل الهدف الثاني، وعندما لا تنجح في التسجيل يحصل ما حصل. لقد كانت مباراة مختلفة وعانينا فيها».

ومن المؤكد أن المفاجآت في الكأس واردة، فهذا ما حصل أيضاً مع أتليتيكو الذي ودّع المسابقة من الدور السابق على يد فريق آخر من الدرجة الثالثة هو كورنيا (صفر-1)، الذي أحرج أيضاً العملاق الآخر برشلونة الخميس قبل أن يخسر أمامه (صفر-2) بعد التمديد. ولكن ما يشفع لأتليتيكو الذي يتواجه الأحد على أرضه مع فالنسيا الرابع عشر، أن فريق المدرب الأرجنتيني دييغو سيميوني يسير بثبات نحو لقبه الأول منذ 2014 بعد فوزه بمبارياته الست الأخيرة في الدوري، وتحديداً منذ الخسارة أمام ريال مدريد بالذات في 12 كانون الأول/ ديسمبر بهدفين نظيفين، وذلك بفضل الوافد الجديد من برشلونة الأوروغوياني لويس سواريس الذي رفع رصيده إلى 11 هدفاً، بتسجيله ثنائية الخميس ضد إيبار في مباراة تخلّف خلالها فريقه قبل أن يقول الأوروغواياني كلمته بهدفين في أواخر الشوط الأول والدقيقة 89.

> **الطريق معبّدة أمام أتليتيكو مدريد للفوز باللقب هذا الموسم**

وما يعزز حظوظ أتليتيكو بإزاحة جاره ريال عن العرش أنه خاض أيضاً مباراة أقل من النادي الملكي، ومنافسه الجدي الآخر برشلونة الذي يحتل المركز الثالث بفارق 10 نقاط عن «لوس روخيبلانكوس» قبل حلوله الأحد ضيفاً على التشي بغياب نجمه الأرجنتيني ليونيل ميسي، بسبب إيقافه لمباراتين نتيجة طرده في نهائي الكأس السوبر الذي خسره فريقه الأحد أمام بلباو (3-2) بعد التمديد.

وبغياب ميسي الموقوف يأمل برشلونة مواصلة استفاقته في الدوري وتحقيق فوز سابع في المراحل التسع الأخيرة من خلال تخطّي عقبة مضيفه التشي الثامن عشر يوم غد الأحد. ويدرك فريق المدرب الهولندي رونالدو كومان أن الخطأ ممنوع لأن فياريال وإشبيلية متربّصان لفريقه، بما أنهما يبتعدان عنه بفارق نقطة فقط قبل مباراتيهما اليوم ضد هويسكا وقادش توالياً.

ويأمل كومان أن يكون فريقه أكثر فعالية بعدما أهدر ركلتَي جزاء في مباراة الكأس الخميس عبر البوسني ميراليم بيانيتش والفرنسي عثمان ديمبيلي. وانتقد كومان بيانيتش وديمبيلي بالقول: «لا يمكنك أن تهدر ركلتَي جزاء»، معتبراً أنه لم تكن هناك «جدية» من قبل فريقه. وأعرب عن استغرابه بالقول: «لا أفهم لأنه هناك عادة العدد الكافي من اللاعبين الذين بإمكانهم تسجيل ركلات الجزاء (بغياب ميسي)، قد شعرا ربما بالخوف. لا أعلم».

حول العالم

ليفربول في ضيافة اليونايتد

يحلّ نادي ليفربول ضيفاً ثقيلاً على مانشستر يونايتد غداً الأحد (19:00 بتوقيت بيروت) في الدور الرابع لمسابقة كأس إنكلترا. ويعاني ليفربول في الآونة الأخيرة، إذ فشل للمباراة الخامسة على التوالي في تحقيق الفوز (خسارتان وثلاثة تعادلات) كما استمر خط هجومه الناري في الصيام عن التهديف للمباراة الرابعة تواليا. وجاءت الخسارة الأخيرة أمام بيرنلي في توقيت غير مناسب بالنسبة إلى ليفربول، ليس لأنه يواجه يونايتد مجدّداً بعد أيام معدودة على التعادل السلبي بينهما في «أنفيلد» ضمن المرحلة الـ 19 من الدوري، بل لأنه مدعوّ أيضاً للقاء صعب الخميس المقبل ضد مضيفه توتنهام الذي يحتل المركز الخامس بفارق نقطة فقط خلفه مع مباراة مؤجّلة في جعبته.

وكي يحقق فوزه الأول على ليفربول منذ آذار/مارس 2018 (2-1 في الدوري على أولد ترافورد) ويحسم المواجهة الأولى بين الفريقين في الكأس منذ كانون الثاني/ يناير 2012 (2-1 لليفربول في أنفيلد)، على يونايتد أن يقدم جهوداً أكبر من مباراته الأخيرة في الدوري ضد فولهام حيث تخلّف أمام الأخير، قبل أن يفوز (2-1) بفضل الوافد الجديد الأوروغوياني إدينسون كافاني والفرنسي المتجدّد بأدائه بول بوغبا.

أوهانيان تناقش الاستحقاقات والاستثناءات مع اتحادات رياضية

عقدت وزيرة الشباب والرياضة اللبنانية فارتينيه أوهانيان اجتماعين عبر تطبيق زوم، مع الاتحاد اللبناني لكرة السلة ممثّلاً بالرئيس أكرم الحلبي والأمين العام شربل رزق، والاتحاد اللبناني للتزلج على الثلج ممثّلاً بالرئيس فريدي كيروز والأمين العام لور نصار، وحضرهما رئيس مصلحة الرياضة في الوزارة محمد عويدات.

درست الوزيرة مع الاتحادين أموراً تتعلق بالمسابقات الداخلية والاستحقاقات الخارجية، وخصوصاً مشاركة منتخب لبنان في تصفيات كأس آسيا لكرة السلة في البحرين، وهجرة الكفاءات والأوضاع المالية والتحضير للألعاب الأولمبية، والأوضاع الاقتصادية لمحطات التزلج المقفلة، في فترة تمثل موسمها المحدود زمنياً.

وبناءً على طلبها، وبالاستناد إلى اتصال أجرته معه، تلقّت الوزيرة أوهانيان كتاباً من اتحاد كرة القدم، كما تلقّت مراسلات بالشأن نفسه من اتحادات الرماية والتايكواندو والركبي يونيون، تضمّنت شرحاً للانعكاسات الناتجة عن قرار الإقفال العام على هذه الألعاب، في ظل استحقاقاتها المحلية والخارجية الداهمة.

وشرحت أوهانيان أن الهدف من هذا التواصل هو دراسة الوضع وتحضير الأرضية لما بعد الثامن من شباط، بحيث يكون القطاع الرياضي مدركاً لما يريد في المرحلة المقبلة، و«نكون ساعين لتهيئة أنفسنا، والحصول على الاستثناءات الضرورية من رئاسة الحكومة، في حال استمر الإقفال ولو على درجات».

وشدّدت أوهانيان على أن أيّ طلب استثناء يجب أن يكون محصوراً باستحقاق خارجي سواء للمنتخبات أو الحكّام، وأنها ستسعى للتواصل مع وزير السياحة بشأن محطات التزلج، بحيث يُعمل على إيجاد آلية تضمن التوازن بين المصلحة الاقتصادية للمحطات والتزامها الحالي واللاحق بالشروط الصحية.

وختمت الوزيرة أوهانيان بأن أي إجراء مقبل محتمل يرتبط بالرياضة يجب أن يراعي الالتزام التام بالتوجيهات الصحيّة والتباعد الاجتماعي وأن يتضمن كل الإجراءات اللازمة لضمان ذلك.

استراحة

كلمات متقاطعة 3650

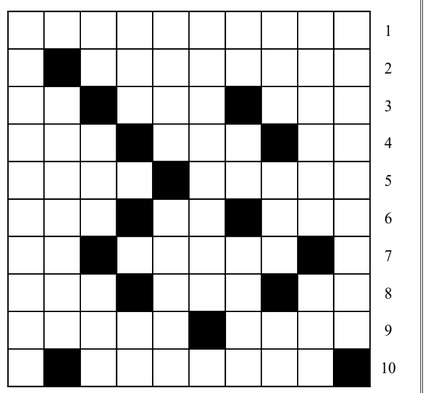

أفقيا

1- ملك فرنسي – 2- من آثارات مصر – 3- تسقط أرضاً – سكين كبير – جُحر العقرب – 4- ورك – أكبر سلسلة جبال في أوروبا – مدينة فرنسية – 5- بحيرة شاطئية على الأطلسي في البرازيل تُعرف أيضاً ببحيرة البط – دولة أميركية – 6- وحدة وزن – أمضى الأمر – مقياس بحري – 7- مدينة مصرية – حفر البئر – 8- حرف نصب – أوتوماتيكي – خيال – 9- خلاف ليل – منطقة في شرقي شبه الجزيرة الهندية تحتوي على دولة بنغلادش – 10- مدينة صينية

عمودياً

1- أديب فرنسي – 2- من أكبر الأطباء اليونانيّين الأقدمين وأشهرهم – مزّق الأسد فريسته – 3- فزع – تنجب طفلاً – متشابهان – 4- للنفي – حرف عطف – معركة شهيرة في الحرب العالمية الأولى – 5- الماء العذب – 6- حرّ النار – عاصمة تايوان – 7- من الفاكهة – ضمير متصل – 8- للتعريف – رقاد – إسراف في الظلم والمعاصي – 9- منطقة واسعة في القسم الآسيوي من جمهورية روسيا – 10- مقاطعة في شمال غربيّ ألمانيا عاصمتها هانوفر

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- مراكش – كافر – 2- ايبيريا – 3- رغد – الفروع – 4- يا – معدوم – 5- ان – أحد – 6- يبرود – ادفو – 7- واد مدني – رض – 8- دنو – ال – 9- ود – سب – نو – 10- راخمانينوف

عمودياً

1- ماري تيودور – 2- ريغا – باندا – 3- أبد – اردو – 4- كي – منوّم – قم – 5- شراع – دن – 6- يلدز – سن – 7- كافو – ايابي – 8- رماد – 9- فرو – حفر – نو – 10- عبدو ضيوف

sudoku 3650

7	1	5			2	8	9	4
9	4							
			5					
1	2			5	6			8
8								6
3			9	7			2	5
					1			
							3	2
6	3	8	2			5	1	7

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3649

1	4	3	8	2	9	6	5	7
7	8	6	5	1	3	9	4	2
9	5	2	6	4	7	1	8	3
6	1	8	2	3	4	7	9	5
2	7	5	9	8	6	3	1	4
3	9	4	7	5	1	8	2	6
8	2	1	3	6	5	4	7	9
4	6	7	1	9	2	5	3	8
5	3	9	4	7	8	2	6	1

مشاهير 3650

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

الرئيس الحالي للشيشان. خلف والده في منصب رئيس الوزراء بعد اغتياله عام 2004. نال ميدالية بطل روسيا وهي أرقى وسام تمنحه المؤسسة العسكرية الروسية

2+1+5+4 = من الفاكهة ■ 11+9+10+3 = واجبات مدرسية ■ 8+7+6 = يقرع الجرس

حل الشبكة الماضية: **كاترين اشتون**

إعداد
نعوم مسعود

السيرة الذاتيّة لأمين الجميّل: عندما يصبح الارتهان للخارج «مقاومة» [3]

أسعد أبو خليل *

لا يزال الحديث هنا عن سيرة أمين الجميّل الذاتية، والتي صدرت حديثاً بعنوان «الرئاسة المُقاومة: مذكّرات». ويستخلص القارئ أنّ المؤلّف أراد من السيرة أن تحقّق غرضَيْن: 1) تجميل صورته في السياسة والحرب والحكم، وتجميل سنوات حكمه في الرئاسة خصوصاً لأنّها ثبّتت صورته في أذهان اللبنانيّين في غير ما أراده. 2) رسم سيرة انعزاليّة كلاسيكيّة للحرب الأهليّة مع إضافات وبهرجات من عنده، وذلك لأغراض الواقع الدرامي والميلودرامي. وفي روايته للحرب، تبدو ذاكرة الجميّل ناقصة كما يظهر استعجال من قبل المؤلّف للوصول إلى مرحلة الرئاسة وهي صلب كتابه. ولا يذكر أمين الجميّل في كتابه، لسبب ما، عمله في مكتب المحاماة، قبل وبعد وصوله إلى المجلس النيابي. هو مثلاً كان محامي تيوفيل بوتاجي الذي أوقفه قاضي التحقيق العسكري، محمد علي صادق، في 13 تمّوز / 1973 بتهمة التجسّس والتخابر مع العدوّ الإسرائيلي بواسطة أجهزة لاسلكيّة من بخته الخاص («الأنوار»، 14 تمّوز 1973). طبعاً، ما لبثت السلطة اللبنانيّة أن أفرجت عن بوتاجي كما كانت تُفرج - ولا تزال - عن عملاء لإسرائيل. أو قد يكون دفاع الجميّل عنه بالغ التأثير على السيّدة العدالة في لبنان، لكن الم يجد الجميّل ضرورة ليحدّثنا عن هذه القضيّة؟ (وقد يكون بوتاجي هو الذي يرد ذكره في مراجع إسرائيليّة عن ثريّ لبناني كان يجول في لبنان قبل سنوات الحرب وبعدها، ويتطوّع بالتجسّس على التواجد الفلسطيني في لبنان لمصلحة إسرائيل).

يذكر أمين مثلاً تأسيس الجبهة اللبنانيّة (ص. 46) لكنّه لا يذكر أنّ «الجبهة الحرّة والإنسان» سبقتها في التأسيس. وكانت «الجبهة الحرّة والإنسان» مبادرة من الأباتي شربل القسّيس (كان له دور كبير في حرب السنتين وكان في زيارة «رعويّة» إلى فلسطين المحتلّة يوم اندلعت الحرب الأهليّة في لبنان) وتأسّست في كانون الثاني 1976. ثمّ يتحدّث أمين عن تأسيس أخيه بشير لـ«القوّات اللبنانيّة»، لكنّ حديثه لا يتّسم بالصدق لأكثر من سبب. أولاً، هو يتحدّث عن «توحيد البندقيّة» بكثير من الاختصار والتغاضي عن العنف والوحشيّة اللذَيْن اتّسمت بهما عمليّة الإدماج الفاشيّة. أصبحت العمليّة الوحشيّة في تعريف أمين «فرض الانضباط» ومجزرة الصفرا لا ترد إلّا كـ«عمليّة مؤلمة»، من دون ذكر الضحايا بالعشرات. يقدّر جوتائان راندل عدد الضحايا نقلاً عن مصادر «رجال شمعون» بـ150 قتيلاً وبينهم ثلاثون من المارة وخمسة وأربعون من العمّال الباكستانيّين الذين لا يذكرهم أحد (جوتائان راندل، «ساحة لبنان»، ص. 168. «السفير» في 8 تمّوز قدّرت العدد بـ 100 ضحيّة و500 جريح فيما كان داني شمعون قدّر العدد بـ500 قتيل). هل هذا ما عناه أمين بـ«العمليّة المؤلمة»؟ وكان بشير في تسويغه للمجزرة يذكر للإسرائيليّين حادثة باخرة «أتليتا» التابعة لـ«إرغون» والتي منع بن غوريون تفريغ حمولتها من الأسلحة. وأدّى الاشتباك بين الفصائل الصهيونيّة والمترهّلين انضمّوا إلى سياق سياسي يضمّ القوى الانعزاليّة (وهذا يسري على جنبلاط كما يسري على توفيق سلطان أو سنان براج أو غيرهم). وجورج حاوي ومحسن إبراهيم أمدّا في اعتداريّتهما عن الحرب الأهليّة الفريق الانعزالي بمواد دعائيّة للاستعمال ضدّ شهداء المقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة. يذكر أمين معركة الدامور مثلاً (على طريقة زياد الدويري الذي يبني تاريخه للحرب الأهليّة والدامور على خطابات بشير الجميّل على «يوتيوب») ولا يذكر أنّ المعارك هناك بدأت باستفزاز من حزب «الكتائب» نفسه، وكان ذلك من ضمن سياق حملة كتائبيّة هجوميّة امتدت من الشمال إلى الساحل الجنوبي، حيث كانت الطريق الدولية تُقطع من قبل ميليشيا «الكتائب» في الدامور. ويرد في الكتاب سرد لمغامرات أمين الجميّل العسكريّة تبدأ بوصفه: «جمعتُ فرقتي التي تضمّ نحو مئة رجل، سمتهم المشتركة العزم على الانتصار» (ص. 54). يقول أمين عن المعارك: «شاركتُ فيها، وفي المقدّمة» (ص. 56). وفي حديثه عن معارك شكا يجعل من نفسه البطل فيما كان الجيش اللبناني بقيادة العميد فيكتور خوري (أصبح في ما بعد قائداً للجيش تقديراً لفدائيته وأنعزاليّته ووطائفيّته - يرد حديث عن طائفيّته في نص الحديث مع بشير الجميل الذي نشره جورج فريحة في كتابه، «مع بشير: ذكريات ومذكّرات»). أمثال هؤلاء يتحدّثون عن دفاعهم عن لبنان ضدّ التوطين فيما كانوا يقاتلون ويقتلون (على الهويّة) أبناء لهم في الوطن. لا يتحدّث الجميّل عن تهجير المسلمين في «المناطق الشرقيّة» (هل كان هؤلاء يريدون التوطين أيضاً؟ هل كان هؤلاء غرباء عن وطنهم أيضاً؟) وعبدالله العلايلي هُجّر من منزله في حي بيضون في الأشرفية واقتحم مقاتلو «الكتائب» منزله وبعثروا محتوياته بما فيها ثمار جهد عمره في تجميع معلومات «المعجم». لا يرد ذلك في تكريم الصحف والشاشات لعبدالله العلايلي (أعرف عن ذلك بحكم قرابته مع والدتي). لماذا؟ لأنّ ذكر ذلك يعكّر على الانعزاليّين سرديّتهم التي تتناسى صراع ميليشيات «الكتائب» مع مواطنين لهم فقط لأنّهم مسلمون؟ أو أنّ ذلك يحيد عن التركيز المقصود على محاربة مزعومة من قبل «الكتائب» لمخطط التوطين الذي لم يعارضه أكثر من الشعب الفلسطيني نفسه (وتسلّمت الشيعيّة التقليديّة، خصوصاً رجال الدين مثل عبد الأمير قبلان ومحمد مهدي شمس الدين فزّاعة التوطين لتحريض أبناء وبنات الطائفة ضدّ الشعب الفلسطيني (كان ذلك في أواخر السبعينيّات وأوائل السبعينيّات، وساهم ذلك في خلق حالة عداء ضد الفلسطينيّين بين الشيعة). يعترف الجميّل أنّ الهجوم على تلّ الزعتر كان بمبادرة من ميليشيات «الأرز» وغيرهما من الفصائل المدرّبة على أيدي ضبّاط متطوّعين من الجيش اللبناني، والمستفيدة من موقع المقدّم ميشال عون؛ (ص. 57) كانت المبادرة. ويقول إنه لم يوافق على خطة الهجوم (أو المجزرة). بالأحرى) إلّا بعد مناشدات له خصوصاً من «المُرشد الروحي» للميليشيات، الأباتي ميخائيل أبو فاضل، الذي قال له: «أنت الوحيد الذي يعرف المنطقة والعدوّ جيداً. أصدقاؤك يرجونك التدخّل شخصياً في هذه المعركة الحاسمة» (ص. 57). ووافق أمين على قيادة «العمليّات». كيف يرفض أمين مناشدات مُرشد الميليشيات اليمينيّة الروحي؟

ويستفيض أمين، لا بل يزهو، في وصف عمليّات القتل، مثل تجهيز جرّار ضخم («كاتربيلر») بمدافع ورشاشات لرمي حمم النيران على المخيّم (تستطيع أن تتخيّل دقّة التصويب في جرّار زراعي ضخم مجهّز برشاشات ومدافع في مكان مكتظّ مثل مخيّم تل الزعتر). يذكر الجرّار بمدافعه (يسمّيه الجميّل بـ«أفلام مـاد ماكس أو «باتمان»). وكان اسم الجرّار «العنيد 2» - تيمناً بأمين، وتراه مزهواً جداً بما جرى من قتل في ذلك المخيّم. يقول عن حركة الجرّار ومدافعه: «كانت حركته أشبه بنزهة استجمام». هذا أصبح رئيس جمهوريّة لبنان وأعلن نفسه في المذكّرات «رئيساً مُقاوماً». وينسى أمين نفسه في تعداد بطولات قوات «الكتائب» وحلفائها، فيعدّد المآثر من تل الزعتر إلى جسر الباشا ومخيّم ضبيّة (لم يعد أحد يتذكّر مخيّم ضبيّة وضحاياه بالعشرات كما يذكر حارة الغوارنة، ولا يذكر المسلخ والكرنتينا والنبعة. وتعداد هذه الأماكن (أي الأحياء السكنيّة، لا المخيّمات) ضروري للتذكير أنّ كلّ مزاعم الانعزاليّين بشأن أنّ حروبهم لم تكن إلّا دفاعاً عن لبنان بوجه مخطّط فلسطيني للتوطين تسقط أمام هذه الحقيقة: هؤلاء الانعزاليّون هجّروا مسلمين لبنانيّين من أحيائهم، سنّة وشيعة لتحقيق صفاء طائفي في مناطقهم. كيف تضع هذا التهجير بمئات الآلاف في سياق أسطورة حروب «المقاومة اللبنانيّة ضدّ التوطين الفلسطيني»؟ قد يكون الجميّل لاحظ ذلك ولهذا هو يصف «حارة الغوارنة» بـ«مخيم حارة الغوارنة» (ص. 59) كي يوحي أنّه كان مخيّماً فلسطينيّاً فيما هو حيّ سكني للبنانيّين (وكانت الأحزاب العلمانيّة مزدهرة في الحيّ). ويزهو الجميّل أيضاً بأنّه أقام «بيت المستقبل» في موقع سكني كان يقطنه «بدو رحّل». لم يكن تهجير هؤلاء الرحّل مشكلة في حقبة التهجير الطائفي والإثني الذي مارسته هذه الميليشيات. يتعاطف الجميّل مع سعد حدّاد، فيقول إنّ إمداده من قبل إسرائيل حدث «حين تخلّت الدولة اللبنانيّة» عنه. لكن كيف تخلّت الدولة عنه؟ تخلّت عنه في عدم تطويبه الجنوب إقطاعاً إسرائيليّاً؟ أم أنّها تخلّت عنه بالتمنّع عن الإشادة به في العلن فيما لم تتوقّف قيادة الجيش الانعزاليّة عن التواصل مع الجيب الإسرائيلي المزروع في قلب الجنوب؟ أما عن دخول الجيش السوري إلى لبنان تحت مسمّى قوات الردع العربيّة، فهذا يصل تزوير التاريخ عند أمين إلى ذروته. يقول إنّ «أنصارنا» أضربوا إلى ذروته. يقول إنّ «أنصارنا» أضربوا احتجاجاً على تدخّل النظام السوري (ص. 59). لعلّ أمين يظنّ أن الارشيف زال من الوجود، ولكن فلنرَ ما قاله زعماء اليمين الانعزالي حول خطاب حافظ الأسد في 20 تمّوز، والذي أعلن فيه تدخّلاً عسكريّاً من قبل النظام السوري في لبنان ضد تحالف المقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة.

كميل شمعون قال عن حافظ الأسد: «وقد وضع يده على العلّة التي تتخبّط فيها هذه القطعة من الشرق الأوسط، ولي الأمل الوطيد بأنّ موقف الرئيس السوري سيساهم المساهمة الكبيرة، وأكاد أقول إنّه الموقف الوحيد الذي سيضع حدّاً للمأساة التي ذكرتها» (راجع المرجع الأرشيفي الموسوعي عن الحرب، أي أنطوان خويري، «الحرب في لبنان: 3,1976، الجزء الثاني، ص. 733). أما بيار الجميل فقد وصف الخطاب بالتالي: «إنّه وثيقة قوميّة وتاريخية تمتاز بالصفاء والتجرّد والواقعيّة ونظرة الدقّق العادل في الأسباب والوقائع والنتائج... فكأنّه شعلة على دروب المستقبل. وهو بالنسبة إلى الأزمة القائمة على أرض لبنان حكم نزيه يدوّي في آذان العالم المتحضّر من على منبر المسؤوليّة، وهو حكم لا يستطيعه إلا من أوتي صدق العزيمة وحيويّة الضمير وصفاء النظرة وجرأة في الحق وإخلاصاً في الوطنيّة... تهمّنا هنا الإشارة إلى عظيم الصدق في موقف الرجال... لا ينظر إلى كلامه وكأنه مجرد خطبة في مناسبة، إذ هو فتح حضاري وقيادي في دنيا السياسات المتحرّرة من التلوّن السياسي المنمّق، وهو طريق قويم وخط كريم في دنيا السياسة وتنوير دروبها أمام الشعوب والجماهير صاحبة الحق الطبيعي... لقد أسدى الرئيس الأسد جليل الخدمات لقضايا لبنان وفلسطين والعرب وأنقذ السفينة السكرى المتهاوية... وحال الرجل دون خطر التقسيم الذي يهدّد لبنان ودون ضياع قضيّة فلسطين التي انحرف عنها أبناؤها، أو بعضهم... إنّ خطاب الرئيس الأسد ملحمة جراة وبطولة وصدق ومكاشفة للجماهير بالحقائق وثيقة تاريخية لا يمكن التعليق عليها بتصريح أو ببضع عبارات... لبنان غني برجالاته الوطنيّين الذين هم على طريق حافظ الأسد ورياض الصلح» (ص. 735، المرجع أعلاه). لم يكتفِ بيار الجميّل بهذا التصريح بل أرسل برقيّة (مثل البرقيّات التي يطيّرها وليد جنبلاط للتعزية بكل أمير وأميرة من آل سعود) إلى حافظ الأسد، يقول له: «إنّ موقفكم التاريخي في إعلان الحقائق عبر خطابكم الأخير يلقى تأييد جميع المخلصين في لبنان ودنيا العرب وتقديرهم. لقد انتهجتم نهجاً رسوليّاً في نصرة الحق والحريّة وحماية الأبرياء في لبنان، وخرقتكم بشجاعتكم الأدميّة وبروح المسؤوليّة الكبرى التي تتحلّون بها والمُلقاة على عاتق الشقيقة سوريا، جدارَ الإرهاب الفكري والسياسي... إنّ لبنان المفجوع هذا يقدر لسوريا الشقيقة بقيادتكم الحكيمة والبطلة المبادرات والمواقف الرائدة والحاسمة من أجل استعادة حقوقه كاملة في السيادة والأمن والحريّة والكرامة والمستقبل... لقد هدفت المؤامرة إلى تمزيق لبنان واحتلاله بديلاً عن فلسطين... وذلك خدمة للصهيونيّة وإعداء العرب». (ص. 741، من مرجع أنطوان خويري، أعلاه). هل نفق عاصم قانصوه أو فايز شكر مثل هذه الكلمات في مديح حافظ الأسد وبشار الأسد؟ كيف يستطيع أمين الجميّل أن يزوّر تلك الحقبة ويزعم أنّ الجبهة اللبنانيّة عارضت تدخّل النظام السوري في لبنان؟ وأين هذه الكلمات اليوم من رواية ترسّخت في الأذهان بسبب تكرارها في المحطات والكتب عن حقبة الحرب، ومفادها أنّ القوى الانعزاليّة كانت ثابتة في معارضة النظام السوري وتدخّله في لبنان. (طبعاً، لم يصغ بيار الجميّل كلماته هذه، والأرجح أنّها كانت من صياغة جوزيف أبو خليل مع تحرير إضافي من قبل لويس الحاج (في «النهار») الذي كان يشذّب تصريحات الجميّل ليزيل منها ما هو صارخ في طائفيّته أو ما هو ضارّ له ولقضيّته).

ويتحدّث الجميّل عن «حرب المئة يوم»، لكنّه يغفل أنّ الجيش السوري شنّ أيضاً حرباً ضد مواقع المقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة (كان يمكن أن تتّسع الاشتباكات في عام 1976 بين الجيش السوري والمقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة إلّا أنّ قيادة المقاومة (متمثّلة بعرفات وأبو جهاد خصوصاً) لم ترد أن توسّع من نطاق الاشتباكات وحدّت من طموح وجموح حريات يساريّة، فلسطينيّة ولبنانيّة، أرادت أن توسّع نطاق مقاومة التدخّل العسكري للجيش السوري. وينسى البعض أنّ فصيلاً ثوريّاً لبنانيّاً (حزب العمل الاشتراكي العربي - لبنان وبعض حلفائه في اليسار الثوري) شنّوا حرب عصابات ضد الجيش السوري في منطقة البقاع، وكان ردّ الجيش السوري عنيفاً للغاية وجرت عمليّات إعدام ميدانيّة. وكان قصف المنطقة الشرقيّة من بيروت عشوائيّاً (في ما يُسمّى بـ«حرب المئة يوم») لكن حكاية الجميّل تغفل الدور الذي لعبته أحزاب الجبهة اللبنانية في المباركة، والإلحاح على تدخّل عسكري للنظام السوري في لبنان لمنع هزيمة حتميّة لميليشيات اليمين (وبالرغم من الخلاف بين عرفات وحافظ الأسد فإنّ عرفات، مثله مثل حافظ الأسد، مانع في سنوات الحرب تحقيق الحسم العسكري ضدّ القوى الانعزاليّة واستمرّ في محاورة (سريّة وعلنيّة) مع قادة ميليشيات اليمين (يُذهل القارئ بنصّ المراسلات بين أبو آياد وأمين الجميّل في الكتاب).

رواية الجميّل عن الاجتياح الإسرائيلي مستقاة من الرواية الإسرائيليّة: حتى عنوان القسم يستعمل «سلام الجليل» في اعتناق غير خافٍ لوجهة النظر الإسرائيليّة. ويقول إنّ القصف الإسرائيلي في الأيّام الأولى من الاجتياح استهدف «مستودعاً ضخماً للأسلحة» في المدينة الرياضيّة (ص. 67) والمخيّمات الفلسطينيّة والضاحية الجنوبيّة. وفي عرف الجميّل، وفي عرف صحبه من الانعزاليّين السابقين والحاليّين، فإنّ المخيّمات الفلسطينيّة والضاحية الجنوبيّة هي أهداف عسكريّة مشروعة. لا يذكر الجميّل أنّ منطقة مدنيّة مثل حي المزرعة، حيث كنتُ أقطنُ، تعرّضت هي الأخرى لقصف عشوائي واحدث قنبلة فراغية تهديماً بالكامل لمبنًى سكني طُحِنَ - سُوِّيَ بالأرض تماماً - ومات كلّ مَن فيه. وبزعم أمين أنه عارض توريط «الكتائب» في حرب إسرائيليّة ضدّ «منظمة التحرير»، مع أنّه لم يحدّثنا عن حقيقة العلاقة بين فريقه وبين العدوّ الإسرائيلي مع أنّه يذكر تاريخ 1975، بدلاً من التاريخ المألوف في آذار 1976 في رواية جوزيف أبو خليل المعروفة عن بدء العلاقة مع إسرائيل، فيما تذكر المراجع الأميركيّة الرسميّة المُفرج عنها والواردة في كتاب جيمس ستوكر، «ميادين التدخّل: السياسة الخارجيّة الأميركيّة وانهيار لبنان، 1976 - 1977) أنّ التسليح الإسرائيلي بدأ في عام 1975، على الأقل. طبعاً، المراجع العبريّة ازّكت لعلاقة بدأت قبل إنشاء الكيان واستمرّت طيلة السنوات بعدها بين حزب «الكتائب» وبين دولة الاحتلال.

لا، ويضيف أمين أنّ بشير (الذي يزعم أنّه كان على علاقة تفاهُم تامّة معه، وهذا أيضاً جانب من الكتاب يقوّض مصداقية سيرة الجميل لما نعلمه عن الصراع الحاد بين الأخَوَيْن - لي عودة لذلك) كان على صراع مع شارون، وهذا يتناقض مع الروايات اللبنانيّة والإسرائيليّة والأميركيّة عن العلاقة. لم يكن هناك أيّ خلاف بين شارون وبين بشير: شارون كان الكتف الذي كان بشير يبكي عليه عندما كان يتعرّض لذلّة أو إهانة أو توبيخ من مناحيم بيغن، وكان شارون الحضن الذي يأوي إليه والمُرشد الذي يتوخّى منه التوجيه والنصح. كان على أمين الذي لم يكن على علاقة وثيقة ببشير الجميّل في سنواته في «القوات اللبنانيّة» استشارة كتاب قريبه، جورج فريحة (المُتزوّج من ابنة موريس الجميّل) إذ إنّه نشر محاضر لاجتماعات مع شارون. كان شارون الرجل الذي يوفّق بين تعليمات بيغن وبين قدرات بشير نظراً إلى متطلّبات الحكم كرئيس جمهوريّة - وإن منصباً من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي. ثم كيف يتمرّد بشير على شارون وهو عرّابه؟ هذا كان يتمرّد وليد جنبلاط على غازي كنعان (في مرحلة) أو على جيفري فيلتمان (في مرحلة لاحقة).

(يتبع)

* كاتب عربي (حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

(هيثم الموسوي)

أين أصبح محمد بن نايف؟

إسحاق المساوى *

أخيراً، وصلت الرحلة الطويلة للأمير محمد بن نايف إلى وجهة خاطئة، لم تمكّنه حتى اليوم من إعادة ضبط مساره على الوجهة الصحيحة، بفعل الأوتاد التي أحكمت تثبيت الرجل بجدران يحرس الصمت نزيلها بعناية، ويأكل الصدأ ثقله في ميزان القوى الخليجية، والغربية، وحتى العائلية.

وبينما تبدو هذه الصورة الاختزالية لمآلات ابن نايف، «تحاملاً عليه» في توصيف المراهنين على لحظة تاريخية فارقة تُجبر من انتزع منه أمجاداً، وملكاً، على إعادتهما؛ ربما يجدر بنا التحقّق بعد ثلاثة أعوام من عزله، عن الثقل الفعلي للرجل في دورة الصراع القائم ورهاناته المستقبلية.

يظهر محمد بن نايف بوصفه مادة إعلامية صالحة لتصفية الحسابات البينية لدى فرقاء الخليج. وقد يجدر بنا أن نتساءل على خلفية الحسابات: هل كان القطريون يحملون قضية الجوف ضمن أهدافهم الاستراتيجية لتغيير إدارة الحكم في السعودية؟ لن نعثر على قطر في صيغة الإجابة عن التساؤل الكبير. وبالتالي لن نعثر على محمد بن نايف في رهانات خليجية وازنة، عدا أنّه كان مادة خبرية في غايات الموجوعين من المقاطعة الخليجية، لا أكثر. وها قد توارت المزايدة الإعلامية بقضيّته، بمزايدة المصالحة الخليجية.

تتطابق الوسائل وتختلف الغايات بالنسبة إلى مؤسّسات الحكم الأميركية، وبين صراع المصالح البينية والدولية، تغيب مصلحة ابن نايف الرئيسية، وتضيع أحلامٌ لطالما منحته شعوراً بزهو «جلالة الملك». لقد كانت ممكنات الفعل القطري وضع لجوء بن نايف ضمن شروط التفاوض على المصالحة الخليجية، إن كانت متضامنة فعلاً مع قضيته، أو حتى كمقابل استثمارها على مدى ثلاثة أعوام. لكنّ غيابه عن المصالحة، لا يعزّز حقيقة أنّ الرجل أصبح «لا شيء» في ميزان القوى الخليجية وحسب، بل قد يجعل من حضوره في التفاهمات السرية احتمالاً وارداً، ومن تحييده عن الإعلام، كمقدمة لطي صفحته، مطلباً عادلاً لدى الأمير الطائش.

في الحقيقة، مثّلت ساعات الفجر الأولى من حزيران / يونيو 2017، البداية لعزل ابن نايف عن ثقله الحقيقي. بعدها تحوّل إلى «شحّاد» دولي للعطف، والتضامن، في ظلّ توالي خسائره وصولاً إلى حالات بات لا يملك معها من عوامل القوة شيئاً سوى «سعد الجبري».

خطوة الجبري بمجملها؛ قضت تماماً على مهابة رجل كان ولياً للعهد، ووزيراً للداخلية، وحليف أميركا القوي؛ وجعلت الشكوك بسطوة ابن سلمان المطلقة عليه يقيناً في واقع اليوم. ثم إنّ الجبري استثمر المعلومات التي فرّ بها إلى كندا في صناعة البطولة لنفسه، ونسي أنه موفد لإنقاذ ابن نايف من القيود التي كبّلته وأودعته للنسيان.

لقد عكست تحركات الجبري الحالة الانهزامية لابن نايف، بلجوئه العلني للتهديد الانتحاري «عليّ وعلى أعدائي» ما يعني فقدانه التأثير في المنظومة الاستخباراتية عبر قنواتها المعروفة، ولا دلالة لهذا سوى أنّ الرجل فقد ورقته الرابحة والأخيرة.

على وجه خاص، فالمنظومة الاستخباراتية الأميركية التي خدم فيها ابن نايف لعقود، وصنّفته بأفضل من أبيه، وأفضل من يتولّى العرش؛ لم تكن ترى في الرجل غير بنك معلومات مخلص، ومع عزله تغيّرت ولاءات القصر، وولاءات المؤسّسة الأمنية بشكل خاص، فتغيّرت قناعة المنظومة الاستخباراتية، المدينة للمعلومة بصرف النظر عمن يقدمها، سواء ابن نايف أو أمير آخر. وبالتالي انتهت الحاجة إليه، إلا من دور هامشي، قد ينتهي بدفن الضحية مع الأدلة هذه المرة.

وبالعودة إلى موفده الجبري، فهو لا يقدح من رأسه إلّا بما يتناسب مع الدور الجديد الذي فصّلته الاستخبارات الأميركية لابن نايف: «مجرد فزّاعة» ليبقى ابن سلمان طيّعاً ومستعدّاً للالتواء بساق أميركا في كلّ الظروف.

حتى «فزّاعة ابن نايف» قد يبدو عمرها الافتراضي قصيراً، مع صناعة منافسة أخرى، كفزّاعة الأمير أحمد بن عبد العزيز التي ظهرت بدور المعارض القوي لابن سلمان، فهل علينا أن نتساءل هنا عن ماذا بقي بيد الفزاعة الأولى؟ أم كم تبقّى من عمرها الافتراضي؟

بالطبع، لو كان الرجل يشكل ثقلاً في ميزان الاستخبارات السعودية أو الأميركية، لما أمكن عزله من الأساس، ولما انتهى حاله إلى سلّة معلومات يعرضها موفده الجبري في سوق الغرب، مقابل الحصول على حياة منزوعة القلق. وبالطبع، إنه أمام خصم يستكثر عليه حتى البساطة، وبالطبع، إنه فقد الثقة بنفسه؛ فتبدّدت أحلامه إلى ما يشبه أحلام البسطاء، في دولة توفّر الأمن والرعاية لأبنائها، ونسي أنّه كان دولة.

في قناعات العائلة، ربما لا وجود لفرضية ابن نايف كمعادل سياسي للأمير الطائش محمد بن سلمان. وإن وجد فالأخير ثري بذرائع القصر لتصفية الخصوم، وربما لن ينشغل بكيفية الإخراج المنطقي لجناية تطاول ابن نايف، أكثر من اهتمامه بنجاحها، وثقته المطلقة بتغييبها لدى الإدارة الأميركية ضمن مسالخ البلدين المشتركة. قد يكون ابن نايف في ميزان الأسرة وتقييمها جباناً، فلا يؤهّله ذلك ليكون بديلاً. لكنّه أيضاً معزولٌ عن التأثير حتى في دائرته الضيّقة التي خرجت من صلب أبيه، والتي لن تغامر بمناصب تقلّدتها من ابن سلمان كنوع الاستقطاب؛ فالبر للمصالح مقدم كمقدمة لطي صفحته، مطلباً عادلاً لدى الأمير الطائش.

أيضاً الرهان على قدرة الرجل على خلق تحالفات مع أمراء مُقالين، مثلاً، في المؤسّسة العسكرية كمتعب بن عبدالله وزير الحرس الوطني السابق، قد يكون معقّداً جداً، بتعقيد صراعات الأبوين الراحلين عبدالله ونايف، والحال نفسه بالنسبة إلى أبناء، وزير الدفاع الراحل سلطان بن عبدالعزيز، فالبعض مهادن، والبعض الآخر مستفيد من التحولات السلمانية، وتربطهم بابن نايف صراعات الأبوين المتنافسين قديماً على لقب «جلالة الملك».

لا يبدو أنّ المخرج الأميركي أبقى مجالاً لتراجع العداوة الدائمة لمصلحة صداقة مؤقتة، ولا يوجد مسلك آمن للعائلة والسعودية بأكملها تحت ظلّ ذات المخرج ومصالحه. كاستثناء، فُطر أفراد العائلة السعودية - أكانوا مناصرين أو معارضين لابن سلمان - على اجترار مشاعر الكره للراحل نايف وابنه محمد، المعروفين بالحقد على الجميع لأسباب أو لدونها، ما قد يجعل شركاء ابن نايف في الضرر، يفضّلون مساوئ ابن سلمان، على حرية يفتح مزاليج أبوابها الصدفة، رجل لم يحرّر نفسه من أزماته الشخصية، فضلاً عن أزماته مع الآخرين.

اعتقاد ابن نايف بدهاء عقله، يثير الضحك كثيراً. لماذا؟ باختصار شديد: لأنّه في السجن. وليس من الدهاء، ولا حتى من الغباء، انتظار تحوّلات مقبلة ترجّح دفة البدائل السياسية لمصلحة ابن نايف، لأنّ المنطق السياسي والعسكري يفرض نموذج ابن سلمان، ولا تُسعف الغرب صناعةُ بديل عنه، كما لا يضطرّها مطلقاً، وكأنّ هذا العالم ليس لديه من هدف غير إعادة الرجل إلى مركزه المفقود.

من الدهاء عدم الظن في يقين المعركة الطويلة، وعدم البحث عن حلول من أطراف المشكلة والمنظومة الغربية نفسها، ذلك أنّ تصحيح المسار على الوجهة الصحيحة، يستحيل مع البقاء على متن مركب تتحكّم بمقوّده الاستخبارات الأميركية، ويخضع الخليج بأكمله لمساراته الإجبارية.

* صحافي يمني مهتمّ بشؤون الجزيرة العربية

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق الثامن
■ للتلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15- 01/666314 - 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

اليمن

بؤر تطرُّف برعاية السعودية نحو استقطاب «مكافحة الإرهاب»

تبدو السعودية مصمِّمة على استقطاب دول «مكافحة الإرهاب» لحماية خطوط الملاحة الدولية من التطرّف الذي يفتك في محيطها، برعاية وتمويل المملكة نفسها. هدفٌ تشتغل هذه الأخيرة بأقصى طاقتها لتحقيقه، من خلال استحداث مراكز تُلقّن فكر المدرسة الوهابية وتعليماتها، في عددٍ من المحافظات التي تقع خارج سيطرة حكومة صنعاء

صنعاء - رشيد الحداد

بعد قيامها بتوطين التنظيمات الإرهابية في محافظات أبين وشبوة ولحج، في النصف الثاني من العام الماضي، ومنحها «القاعدة» و«داعش» غطاءً جديداً من خلال احتواء عناصر التنظيمين تحت جناح قوّات الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، تتّجه الرياض وأبو ظبي إلى خلق بؤر جديدة للتطرّف والإرهاب في عدد من المحافظات التي تقع خارج سيطرة حكومة صنعاء. وتؤكّد تحرّكات السعودية والإمارات في جنوب اليمن، وبالقرب من مضيق باب المندب، أن المؤامرة التي تحيكانها أكبر من خلافات اليمنيين. وبعدما كرّست حضورها العسكري في محافظة المهرة التي تُعدُّ البوابة الشرقية لليمن، تحت ذرائع إعادة الإعمار ومكافحة التهريب، ها هي المملكة تموّل إنشاء عدد كبير من المراكز الدينية المتطرّفة في هذه المحافظة، وفي مناطق قريبة من البوابة الغربية لباب المندب.

في هذا السياق، يؤكّد تقرير حديث صادر عن المركز الإعلامي للمحافظات الجنوبية، وجود 13 مركزاً دينياً في محافظات لحج والضالع والمهرة وباب المندب، يضاف إليها تمويل السعودية تأسيس ثلاثة مراكز جديدة في محافظة أبين. وبحسب التقرير الذي حصلت «الأخبار» على نسخه منه، تقوم دول تحالف العدوان بدعم وتمويل إنشاء أكثر من 20 مركزاً دينياً صغيراً لنشر الفكر التكفيري الوهابي في حضرموت وعدد من مديريات محافظة أبين، فضلاً عن استحداث مراكز تكفيرية في مناطق استراتيجية ذات كثافة سكانية تقع بين محافظتَي لحج وتعز، وأخرى في محافظة المهرة.

وفق خريطة تموضع هذه المراكز المموّلة بملايين الدولارات من قِبَل السعودية، مؤلت الرياض، في النصف الثاني من العام الفائت، إنشاء ستّة مراكز وهابية تتوزّع في مناطق المضاربة وطور الباحة والمحالوة والتربة في تعز، وفي أخرى تتوسّط محافظتَي لحج وتعز وتعاني من ارتفاع معدلات الفقر والبطالة. توجّهٌ يؤكد أن المملكة تسعى إلى تحويل تلك المناطق الاستراتيجية إلى بؤر جديدة للإرهاب. ويفيد التقرير بأن تحالف العدوان افتتح مركزاً تكفيرياً في منطقة طور الباحة شرقي محافظة لحج، إلى جانب تدشينه مركزاً سلفياً ثالثاً في منطقة المحالوة الواقعة بين محافظتَي تعز ولحج، وآخر في تربة أبو الأسرار في الصبيحة هو الرابع في هذه المنطقة. كما أنشأت مركزاً تكفيرياً جديداً في منطقة المضاربة الواقعة غربي باب المندب. وبحسب التقرير، مؤلت السعودية، خلال السنوات الثلاث الماضية، إنشاء سبعة مراكز دينية متطرفة في المهرة توزّعت على مديريات شحن المحاذية لسلطنة عمان، ومديريتَي حصوين وقشن ومحيط مدينة الغيظة. وتُعدُّ هذه المراكز التي تحظى بدعم سعودي مالي كبير، أذرعاً استخباراتية جديدة تم تزويدها بالمئات من العناصر الأجنبية تحت غطاء التعليم الديني، على ما يفيد التقرير. ويعكس توجّه السعودية إلى نشر الفكر الوهابي وإعداد بيئة مواتية للتطرّف عبر افتتاح عدد غير مسبوق من هذه المراكز، على غرار «مركز الفيوش» التكفيري في محافظة لحج، أجندة دول العدوان الخفية تجاه اليمن، فضلاً عن أنه يؤسّس لفتنة طائفية قادمة، لا سيّما أن دول العدوان دفعت بالآلاف من منتسبي «مركز الفيوش» إلى جبهات القتال تحت ذريعة محاربة «الروافض».

وفي ظلّ تصاعد المخاوف الاجتماعية في محافظتَي لحج والمهرة إزاء المخاطر التي تشكّلها هذه المراكز التكفيرية، كشف ناشطون في محافظة الضالع عن استكمال السعودية إنشاء مركز للسلفية الجهادية المتطرفة جنوب غربي عاصمة المحافظة، بهدف استقطاب الشباب من محافظتَي الضالع وإب لتلقينهم أفكار التطرّف الوهابي، وتحويلهم إلى أدوات لتنفيذ أجندة أجنبية مستقبلاً. ويرى مراقبون أن تمويل الرياض عشرات المراكز الدينية المتطرّفة في مناطق استراتيجية تقع بالقرب من البوابة الغربية لباب المندب والبوابة الشرقية لليمن، يأتي في موازاة مساعيها هي وشريكتها الإمارات، إلى شرعنة بناء قواعد عسكرية تابعة لدول أجنبية في تلك المحافظات بدعوى «مكافحة الإرهاب»، والتمهيد لسيطرة تلك الدول على أهمّ ممرات الملاحة الدولية، مثل مضيق باب المندب، تحت ذريعة حماية خطوط الملاحة الدولية من أيّ تهديدات في ظلّ تنامي التطرّف والإرهاب في مناطق قريبة من الممرّ الدولي.

تستحدث الرياض مراكز تكفيرية في عدد من المحافظات التي تقع خارج سيطرة حكومة صنعاء (أ ف ب)

> مؤسّس المراكز الدينية التي تفتتحها السعودية في المحافظات اليمنية إلى فتنة طائفية

تقرير

ما بعد جريمة «الطيران»: العراق أمام تحدّيات اليوم التالي

تحدياتٌ بالجملة تعصف بحكومة مصطفى الكاظمي سياسياً وأمنياً وعسكرياً، بعدما كشفت جريمة «ساحة الطيران» عن بعض منها، وتحمل الأسابيع القليلة المقبلة إما مفاجآت أو تطمينات، بينما يتصدّر المشهد الأمني القائمة. وخصوصاً أن الأداء الحكومي سيكشف عن مدى قدرته على إدارة أكثر الملفّات دقّة في بلاد الرافدين

نور أيوب

مع ساعات الفجر الأولى، أمس، تبنّى تنظيم «داعش»، رسمياً، جريمة «ساحة الطيران»، التي نفّذها انتحاريان، وأسفرت عن سقوط عشرات الضحايا. وفي إطار «مواجهة التنظيم إن تكرّرت هجمات مماثلة»، بتعبير مصدر أمني مطّلع، «يمكن تفسير دوافع رئيس الوزراء، مصطفى الكاظمي، في إجراء حزمة التغييرات في عدد من المفاصل الأمنية والعسكرية». تغييرات تصدّرت المشهد، قبل بيان التنظيم بساعات قليلة، في دلالة واضحة على أن الكاظمي عازمٌ على حصر القرار الأمني ـ العسكري بيده شخصياً، وهذا ما عبّر عنه في الجلسة الاستثنائية للمجلس الوزاري للأمن الوطني. معارضو رئيس الوزراء، وصفوا قراراته بأنها «تصفية حسابات»، مطالبين إيّاه بالعودة عنها، في وقت يؤكّد فيه متابعون للمشهد الأمني أن الرجل «استثمر ما جرى، لإخراج بعض الوجوه الفاسدة، علماً بأن بعض المؤسسات التي طاولتها التغييرات تعمل من دون علم الحكومة المركزية، وبإدارة خارجية».

وتفرض حادثة الخميس التوقّف عند أبعادها، كما يمكن التأسيس على تداعياتها، إن تكرّرت بوصفها تحوّلاً في مواجهة التنظيم، وتصنيفها وفق العناوين الآتية:

1- سياسياً: أرادت الأحزاب والقوى السياسية، وتحديداً تلك المعارضة لأداء الكاظمي وحكومته، استثمار ما جرى للتصويب على الحكومة، المسؤولية، في محاولة لإسقاطها أو مساءلتها برلمانياً، بناءً على إخفاقها الأمني، وخصوصاً أن التفجيرات الانتحارية عادت إلى العاصمة بغداد، بعد سنوات من الهدوء.

يدرك أصحاب هذا التوجّه أن حكومة الكاظمي باقية حتى موعد إجراء الانتخابات التشريعيّة المبكرة (10 تشرين الأوّل/ أكتوبر المقبل)؛ ويعلمون أيضاً أن الغطاء الأميركي ـ الإيراني الذي يظلّل الرجل، لن يُرفع راهناً، لأسباب عدّة، لعلّ أبرزها أنه «ما من بديل حتى الساعة». وتجدر الإشارة إلى أن الضغوط والتجاذبات في العملية السياسية العراقية، ولا سيما إذا سبقت موعد إجراء الانتخابات التشريعية، تهدف عادةً إلى شدّ عصب الجمهور، أو تحصيل مكتسبات أو عقود بغية تأمين كلفة الحملات الانتخابيّة.

سياسياً أيضاً، ثمّة من يربط بين قرار واشنطن سحب قواتها، وعودة خلايا التنظيم إلى النشاط مجدّداً. يقول هؤلاء إن كلفة انسحاب قوّات الاحتلال الأميركي أقلّ من كلفة «عودة داعش»؛ وعليه، لماذا لا يتمّ التراجع عن قرار الانسحاب هذا في مقابل «الحفاظ» على أمن البلاد؟

> إرادات الأحزاب والقوى السياسية المعارضة لأداء الكاظمي استثمار ما جرى للتصويب على الحكومة

في الأسابيع المقبلة، سيُختصر هذا النقاش بالسؤال الآتي: كم سيصمد الكاظمي؟ كيف سيواجه؟ وما هي خياراته المتاحة؟

2- أمنياً: يقول مصدر أمني بارز إن «داعش» حاول، طوال الأشهر الماضية، الوصول إلى بغداد. ويضيف، في حديثه إلى «الأخبار»، إن «قيادة العمليات المشتركة أطلقت عدة عمليات استباقية لهذا الغرض»، فيما يشير إلى أنه «في الأسابيع الأخيرة، وفي معركة واحدة، خسر داعش أكثر من 60 مقاتلاً»، ليستدرك أن «محاولةً واحدة من المحاولات الكثيرة نجحت، وهذا ما شهدناه أول من أمس».

على خطّ موازٍ، وفي مقابل هذا التوجّه، ثمة من يحذّر من عودة الأحزمة الناسفة، عادّاً ذلك «مقدمة لاغتيال شخصيات ووجوه». يضيف أصحاب هذا الرأي، إن المشهد الأمني في البلاد ينذر بسوء، ولا يمكن، راهناً، تنبّؤ مآلات الأمور. هذا الرأي بات محلّ إجماع لدى عدد من قيادات «الحشد الشعبي» وفصائل المقاومة، لكنّه، في المقابل، مرفوضٌ من قِبَل المقرّبين من رئاسة الوزراء. يصف هؤلاء ما يُقال بـ«التهويل»، وبأنه مرتبط بشكل مباشر بمحاولات الضغط على الكاظمي، وإفشال تجربته.

اللافت هنا، ليست النقاشات المحلية، بل ما يجري خارج الحدود. تشير معلومات «الأخبار» إلى أنّه، قبل مدّة، بدأ عدد من رجال الأعمال العراقيين بتمويل جمعيات تُعنى برعاية ضحايا هجمات «داعش». مشاريع لن تستهدف من سقط بين عامَي 2014 و2020، بل من «سيسقط» في الموجة المقبلة. هذا الحراك يفرض سؤالاً واحداً: هل العراق مقبل على انفجار أمني كبير؟ وهل هذا يفسّر قول الكاظمي، أمس، إن «هناك تحدّيات في الأجهزة الاستخبارية يجب معالجتها بشكل عاجل، وساشرف شخصيّاً على هذا الموضوع، وسنفرض وضعاً جديداً للعمل واتخاذ تدابير عاجلة... إذ أجرينا سلسلة تغييرات في البنية الأمنية والعسكرية، ونعمل على وضع خطة أمنية شاملة وفاعلة لمواجهة التحديات القادمة».

3- عسكرياً: يقول معنيون عراقيون إن «التركيز الحكومي على الشأنَين الاقتصادي والاجتماعي حالياً لا يعني غياب الاهتمام عن المشهد الميداني». ويضيف هؤلاء، في حديثهم إلى «الأخبار»، إن قيادة «العمليات المشتركة» في صدد التحضير لعمليات عسكرية وأمنية، تطلقها قريباً، لضبط نشاط «داعش» المتنامي، في الآونة الأخيرة.

هذا التحرّك من شأنه أن يكون حاجزاً أمام «الخطر الداعشي»، لكنّه مرتبط، بطريقةٍ أو بأخرى، بحالة الاستقرار السياسي للبلاد، المقبلة على جملة استحقاقات تفرض على جميع القوى العودة خطوة إلى الوراء، والبحث عن حلول جدية. فالطبقة السياسية تدرك أن «عراق 2003» قد ولّى، وأن عليها البحث عن حلول لنظام بديل، وهذا مفقودٌ راهناً.

تحضر قيادة «العمليات المشتركة» لعمليات عسكرية وأمنية لضبط نشاط «داعش» (أ ف ب)

إسرائيل تستجدي التطبيع مع المملكة: لنقض على «أنصار الله»

لقمان عبد الله

دخل اليمن على خطّ المواجهة مع كيان العدوّ وصار لزاماً عليه التعامل مع التهديدات الإسرائيلية بجديّة، في موازاة مواجهة العدوان الذي تقوده السعودية، بصرف النظر عمّا إذا نفّذت تل أبيب تهديداتها بالشراكة مع تحالف العدوان، أو منفردةً، وإن كانت الحالتان راجحتين. وفي سياق الحملة المستجدّة، ذكر موقع «إسرائيل ديفنس» أن الإعلام العبري كثّف هجومه على حركة «أنصار الله»، في ظلّ خشية العدوّ من أن يُقدم الجيش و«اللجان الشعبية» على استهداف إيلات، من مسافة حوالى ألفي كيلومتر، بالطائرات المسيّرة أو الصواريخ. على أن النظرة الإسرائيلية لليمن ليست مرتبطة بتحالفها غير المباشر مع المملكة، أو الحرب التي تقودها هذه الأخيرة في هذا البلد؛ إذ تُطلِقُ إسرائيل كون «أنصار الله» والشعب اليمني عموماً أصيلين في مناهضتها من منطلقات عقائدية وقومية ووطنية. وعلى رغم ذلك، تلتقي المصلحة الإسرائيلية مع تلك السعودية، بحسب تقدير الموقع. إذ تريد تل أبيب إنجاز اتفاق تطبيع مع المملكة، وتعلم أن الطريق إلى الرياض تمرّ عبر صنعاء، وإذا أرادت تقديم «هدية» لولي العهد، محمد بن سلمان، فلن تجد ما هو أفضل من مساعدته ضدّ «أنصار الله». شعور النصر لدى الأمير الشاب سيمكّن بنيامين نتنياهو من إنجاز اتفاق مع الرياض، وربّما حتى قبل موعد الانتخابات العامة في آذار/ مارس.

يتساءل مراقبون عن توقيت التصعيد الإسرائيلي ضدّ اليمن قبل أسابيع من رحيل إدارة دونالد ترامب. تصعيدٌ شاركت فيه الإدارة الأميركية السابقة، من خلال مساهمتها في الحصار المفروض على اليمنيين وإدراج «أنصار الله» في قائمة الإرهاب. وتفيد المعلومات بأن الكيان الإسرائيلي كان يركن، في بداية الحرب، إلى المشاركة الأميركية والغربية المهمّة لجهة إطالة أمد العدوان. وبحسب دراسة نُشرت في ربيع العام الماضي، في مجلة «عدكون استراتيجي» الصادرة عن «مركز أبحاث الأمن القومي» الإسرائيلي، فإن «أنصار الله» باتت تمثّل تهديداً للكيان، بسبب امتلاكها ترسانة صاروخية يمكن أن تطاول مناطق داخل الكيان العبري، بعد «التحوّل الخطير» الذي طرأ على قدرات الحركة. والجديد هنا، وفق ما يرى مراقبون، هو خشية تل أبيب من أن تُقدم إدارة جو بايدن على تنفيذ تعهّداتها الانتخابية بوقف المشاركة الأميركية في الحرب على اليمن. كما أن فشل دول العدوان وتآكل قوّة التحالف في مقابل الاندفاعة القوية لقوّات صنعاء، كلها عوامل تضاعف القلق الإسرائيلي. وقد دفع تطوّر القدرات العسكرية لليمن، في خلال سنوات الحرب، إسرائيل إلى إدراج صنعاء في تصنيفات العداء والتهديد بالنيران المباشرة، بسبب المنظومة الصاروخية التي تمتلكها، فضلاً عن منظومة سلاح الجو المسيّر، اللتين لم تكونا لدى «أنصار الله» قبل الحرب، بل جرى استحداثهما وتطويرهما أثناءها، وشكّلا معاً توازن ردع في مواجهة النظام السعودي. ومن المرجّح استمرار تطويرهما تماشياً مع التهديدات التي يتعرّض لها اليمن، سواء من جانب النظام السعودي أو إسرائيل. يُشار إلى أن عملية استهداف منشآتَي «أرامكو»، في منتصف عام 2019، حفرت عميقاً في الوعي السعودي، وسبّبت، توازياً، صداعاً كبيراً لإسرائيل، إلى درجة أنها لا تغيب عن الإعلام العبري، حيث تجري مقارنتها مع أهداف في عمق فلسطين المحتلة، وخصوصاً ميناء حيفا.

> تعلم إسرائيل أن الطريق إلى الرياض تمرّ عبر صنعاء

ويعود منشأ القلق الإسرائيلي إلى عوامل كثيرة، أبرزها:

ـ القابلية الكبيرة لتلقّي العلوم والمعارف وفي استيعاب التطوّر التكنولوجي من قِبَل الشباب اليمني، وانخراط كثير من النخب والكوادر العلميّة في خطوط الإنتاج العسكري وعلى الصعد الفنية والتكنولوجية.

ـ فرصة الوصول إلى القدرات (الفنية والتدريبية والمالية)، والتي تتهم دول التحالف والكيان الإسرائيلي إيران بتوفير كل مستلزماتها. وفي هذا السياق، كشف وزير الدفاع في حكومة صنعاء، محمد ناصر العاطفي، أن بلاده حقّقت نقلة نوعية في مجال تصنيع مختلف أنواع الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة وصواريخ أرض أرض البالستية والتكتيكية والاستراتيجية، التي ستُحدث تحوّلات كبرى في مسار الحرب.

ـ وحدة الموقف الوطني اليمني عموماً تجاه الكيان الصهيوني، وهذا ما يعبّر عنه الإعلام الإسرائيلي: «سهولة الضغط على الزناد» لدى «أنصار الله».

ولعل انتقال محور المقاومة، وعلى رأسه إيران، من سياسة الاحتواء إلى مرحلة المبادرة والهجوم والضغط، سرّع من حدّة التصعيد الإسرائيلي، وخصوصاً أن طهران لم تقع في فخّ الردّ على الاستفزازات، بل عمدت إلى إحباط جدوى سياسة «الضغوط القصوى»، بالتفكّك من التزاماتها إزاء الاتفاق النووي، واستئنافها تخصيب اليورانيوم بنسبة 20%. وعليه، فإن الكيان الصهيوني يرى أن لليمن، وفق هذا المنظور (المبادرة والهجوم)، مساحة كبيرة من المناورة وقدرة عالية للتفلّت من القيود السياسية. وعلى هذا الأساس، تطوّر صنعاء قدراتها الردعية وفق عقيدة مناهضة المشروعين الصهيوني والأميركي في المنطقة، ولديها رغبة شديدة في الانخراط المباشر في مواجهة العدوّ.

يقلق إسرائيل كون «أنصار الله» والشعب اليمني عموماً أصيلين في مناهضتها (أ ف ب)

تقرير

اختارت تيريزا ماي لحظة انتقال السلطة في البيت الأبيض لتشنّ أعنف هجوم على خليفتها بوريس جونسون، متّهمة إيّاه بـ«التخلي» عن القيادة الأخلاقية للمملكة المتحدة على الساحة العالمية. ويبدو من توقيت المقال وصيغته أنّ هناك تململاً داخل الحزب الحاكم من تراكم فشل الحكومة البريطانية، الأمر الذي قد يكون مؤشّراً على تبلور مشروعٍ لإسقاط جونسون

تيريزا ماي تدشّن حملة إسقاط جونسون

أشارت الرئيسة السابقة إلى أنّ خليفتها فشِل في احترام «القيَم» البريطانية (أ ف ب)

لندن - **سعيد محمد**

شنّت رئيسة الوزراء البريطانية السابقة، تيريزا ماي، انتقادات هي الأكثر حدّة حتى الآن لخليفتها رئيس الوزراء الحالي بوريس جونسون، متّهمة إياه بالتخلّي عمّا أسمته بـ«موقع بريطانيا من القيادة الأخلاقية العالمية». ووصفت في مقال لها نشرته في يوميّة «ذا ديلي ميل» - اليمينيّة - قرار جونسون بخفض ميزانية المساعدات الخارجية إلى أقل من نسبة الـ0,7% من الدخل القومي - المتوافَق عليها أوروبيّاً - بأنّه قلّل من «مصداقية» المملكة المتحدة في عيون العالم.

الرئيسة السابقة - التي عمِل جونسون وزيراً لخارجيّة حكومتها قبل اصطدامهما حول سير مفاوضات إنهاء عضوية بريطانيا في الاتحاد الأوروبي (بريكست) - أشارت إلى أنّ خليفتها فشِل في احترام «القيَم» البريطانية، من خلال تهديده المتكرّر بخرق القانون الدولي في المحادثات التجارية لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، كما في قراره التخلّي عن الالتزام بالحدّ السنوي الأدنى للمساعدات المخصّصة للدول الفقيرة والتنمية الدوليّة، الذي ينصّ عليه اتفاق أوروبي كانت المملكة المتحدة طرفاً في التوقيع عليه، ويكتسب صفة القانون.

واعتبرت ماي إجراءات جونسون بأنّها لم تساعد على الرفع من «مصداقيّتنا في عيون العالم»، وأنّبته بقولها إنّه «إذا كان لبريطانيا أن تقود على الصعيد الدولي، فيجب أن نرتقي إلى مستوى قيَمنا».

وينتمي الرئيسان (السابقة والحالي) لحزب «المحافظين» الحاكم، الذي يتمتّع بأغلبيّة برلمانيّة مريحة تخوّله الاحتفاظ بالسلطة لغاية موعد إجراء انتخابات عامّة عاديّة في عام 2024، وهما دخلا مرّات عدّة في اشتباكات علنيّة خلال جلسات مجلس العموم (حيث ماي عضو منتخب شعبياً) حول مسائل إجرائيّة وشكليّة، لكن بالطبع من دون أيّ مساس بالخطوط العريضة لسياسات الحزب اليميني التوجّهات.

وفي الحقيقة، فإنّ كلّ هذا الخطاب الصاخب عن الخشية على «القانون الدولي» و«مصالح الدول الفقيرة» و«القيّم الأخلاقية»، ليس إلّا ثرثرة فارغة من قبل أعضاء حزب معروف بسياساته العدوانيّة ضدّ الدول الفقيرة تحديداً، وشاركت - وتشارك - حكوماته بشكل تقليدي في كلّ الحروب الأميركيّة بشكل فاعل، من سوريا إلى ليبيا، ومن أفغانستان إلى اليمن، ولم تتوقّف لحظة عن

> كتبت ماي أنّ انتخاب بايدن يوفّر «فرصة ذهبية» لبريطانيا

لعب دور الحليف الأوثق للنظُم الديكتاتوريّة والملكيّة الفاسدة عبر العالم وتزويدها بالأسلحة المتطورة وتبييض أموال نُخَبها.

لكن اللافت في مقال ماي كان توقيت نشره. إذ دفعت به الرئيسة للصحيفة عشيّة تنصيب الرئيس الأميركي الجديد جو بايدن، وانتقال السلطة في البيت الأبيض من الإدارة الجمهوريّة إلى الديموقراطيين، وما مثّله ذلك من صفعة استراتيجيّة لجونسون وفريقه، بالنظر إلى العلاقة الشخصيّة الوثيقة التي يتمتّع بها الأخير مع الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، والآمال التي كانت معلّقة على دعم أميركي سياسي واقتصادي للمملكة المتحدة في طورها الجديد بعد خروجها من الاتحاد الأوروبي. وليس هناك من شكّ، الآن، في فشل رهان جونسون على توقيع اتفاق عاجل للتجارة مع الولايات المتحدة، وهو أمرٌ لم يعد، اليوم، يتمتّع بالأولويّة لدى الإدارة الديموقراطيّة الجديدة، التي تسيطر على أجندتها همومٌ محليّة، ويقود سياستها الخارجيّة فريق أوبامي التوجّهات (نسبة إلى الرئيس الأسبق باراك أوباما)، يرى أهمّية نسبيّة أكبر للعلاقات مع برلين (ألمانيا) وبروكسل (مقر الاتحاد الأوروبي) من العلاقات الفولكلورية والتاريخيّة مع لندن.

وبالفعل، فقد كتبت ماي، في مقالها، أنّ انتخاب الرئيس (المفعم باللياقة) بايدن يوفّر «فرصة ذهبية» لبريطانيا للعب دور رئيسي في جعل العالم أكثر أماناً، مشيرة إلى أنّ خليفتها لن يتمكّن من فهم ذلك لانخراطه في دبلوماسية العضلات المفتولة، وبأنّ «(القيادة القوية) يجب أن تعرف متى يمكن التوصّل إلى حلّ وسط، لأنّ التسوية ليست بكلمة قذرة».

وبدا أن الرئيسة السابقة كمن يدشّن حملة لإسقاط جونسون من منصب الرئاسة، وتقديم نفسها مرشّحة بديلة بقولها إنّ «عام 2021 يمكن أن يكون عاماً تتولّى فيه المملكة المتّحدة دوراً قيادياً على الساحة الدوليّة، وتصبح بريطانيا العالمية حقّاً». وأضافت أنّه كي يتحقّق ذلك «من الضروري أن يكون هناك تغيير في السياسة العالمية، ويتعيّن على قادة العالم أن يتصرّفوا بشكل مختلف بما في ذلك السيد جونسون الذي لم يفعل ذلك لا في محادثات بريكست، ولا في موضوع المساعدات الخارجية». وهي سدّدت، أيضاً، الحساب كاملاً للرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب الذي كان أثناء وجودها في «داونينغ ستريت» (مقر رئاسة الوزراء في لندن) قد وصف سياستها بشأن الاتحاد الأوروبي بـ«الحمقاء»، وذلك عبر توجيه انتقادات لاذعة لفترة ولايته وإدارته للعلاقات الدوليّة، كما طريقة خروجه من السلطة - مقارنة إياها بخروجها هي من منصب رئاسة الوزراء في عام 2019 - في الوقت الذي لم توفّر فيه مديحاً لبايدن، معربة عن أملها بأن يكون انتخابه «فرصة ذهبية» لبريطانيا.

مقال ماي، قُرئ في لندن كتأكيد على تصاعد تَململُ تيار متعاظم داخل حزب «المحافظين» الحاكم من تراكم فشل حكومة جونسون في إدارة ملفّاتها الدوليّة والمحليّة على حدّ سواء، الأمر الذي يتخوّف دهاقنة الحزب من انعكاسه سلباً على استمرارهم في السلطة بعد عام 2024. وبحسب استطلاعات للرأي أجريت مؤخّراً، فإنّ «المحافظين» لن يتمكّنوا من الاحتفاظ بالأغلبيّة البرلمانية في ما لو أُجريت الانتخابات العامّة في وقت قريب.

ويتّفق العديد من المراقبين على أنّ جونسون يعيش، بالفعل، أضعف لحظاته السياسيّة على الإطلاق، منذ 18 شهراً، مع تقاطع خروج حليفه ترامب من الحكم، مع المآخذ الكثيرة على اتفاق اللحظة الأخيرة مع بروكسل، لا سيّما بشأن الحدود البرّية بين إيرلندا الشماليّة (الخاضعة لحكم لندن) والجمهوريّة الإيرلنديّة (العضو في الاتحاد الأوروبي)، والانكماش الاقتصادي غير المسبوق منذ الحرب العالميّة الثانية، وأيضاً الفشل الكارثي في التصدي لوباء «كوفيد - 19» الذي حصد أرواح أكثر من مئة ألف بريطاني على الأقل - وهي من أعلى النسب في العالم مقارنة بعدد السكان - من دون توفّر أيّ معطيات موثوقة عن إمكان انحساره قريباً.

وبما أنّ سقوط حكومة جونسون في البرلمان غير ممكن عمليّاً من دون تخلّي الحزب الحاكم عنه، فإنّ طاقم المتمرّدين الذين يقدّر عددهم بـ30 - 50 نائباً قد يجد في وقت قريب - لا يتجاوز الربيع المقبل - أنّه لا مفرّ للحزب من تبنّي سياسة تقليل الخسائر، وخداع الطبقة العاملة الغاضبة عبر تغيير في الوجوه القديمة ذاتها، قد تكون الرئيسة ماي واقعيّاً أقلّها استفزازاً، سواء للأغلبيّة من أعضاء الحزب الحاكم أو للجمهور المحلّي، وبالتأكيد - وهو الأهم - للإدارة الأميركية الجديدة.

مصر

صراعات الأجهزة «السيادية» تنتقل إلى البرلمان!

صراعات الأجهزة عادت من جديد. هذه المرة ليس في الإعلام وإدارته وإنما في البرلمان الذي سيكون حلبة مواجهة فرعية بين جبهة عباس كامل، وبين معارضيه، وهم كثر الآن

القاهرة ــ **رمزي باشا**

رغم الاعتقاد السائد بسيطرة «المخابرات العامة» على مجلس النواب، جراء الآلية التي اتُّبعت لدعم بل اختيار غالبية أعضاء المجلس سواء أكانوا المنتخبين بنظام القائمة أم الذين ترشحوا إلى المقاعد الفردية، فإن انعقاد أولى جلسات البرلمان قبل أقل من أسبوعين كشف عن مفاجآت كثيرة، بينها حالة الغضب لدى جناح وزير المخابرات، اللواء عباس كامل، على عدد من النواب، خاصة المحسوبين على أجهزة أمنية أخرى. المفاجأة الكبرى هي منع وكلاء البرلمان من الظهور على الشاشات وغيرها من الوسائل التي يسيطر عليها كامل، بل تصعيد الهجوم على بعض النواب وإقصاؤهم في انتخابات لجان المجلس عبر الغالبية التي يمثلها حزب «مستقبل وطن» التابع للمخابرات والمتحكم الأول في أي قرارات أو قوانين، وهو ما دفع إلى إقصاء رئيس البرلمان السابق، علي عبد العال، وانتخاب رئيس «المحكمة الدستورية» السابق، حنفي الجبالي، رئيساً.

مع أن عملية التمهيد الإعلامي كانت مكثفة لـ«برلمان جديد ومختلف»، وفق وصف إعلام المخابرات، جاء أول قانون أقره البرلمان الجديد بزيادة الرسوم على المواطنين لمصلحة «صندوق رعاية أسر الشهداء والمصابين» الذي بات يعتمد على جيوب الناس في تمويله مع سعي الدولة لتحقيق ربح منه، وستكون رسومه مفروضة على غالبية الأوراق الحكومية وغير الحكومية، ليضاف عبء جديد حتى لو كان صغيراً نسبياً على الأعباء التي وضعها البرلمان السابق. في هذا البرلمان

> من المرشّحين للإقصاء قريباً وزير الخارجية سامح شكري

أيضاً ثمة حلبة صراع قديمة - جديدة بين الأجهزة السيادية خاصة مع الصلاحيات الواسعة التي يتمتع بها المجلس نظرياً في محاسبة الوزراء ومراجعة برامجهم، الأمر الذي أرجأ التعديل الوزاري حتى الانتهاء من تقييمات الوزراء التي باتت على طاولة الرئيس وتشمل هذه المرة وزير الخارجية، سامح شكري، المرشح للاستبعاد على أن يخلفه سفير مصر السابق لدى واشنطن، ياسر رضا. كذلك، يراجع البرلمان حالياً الوزراء كافة بداية من رئيس الحكومة، مصطفى مدبولي، الذي حصد استحساناً أكد بقاءه، مع تفاوت في تقييم بقية الوزراء إذ يجري الاستماع لهم في جلسات ستستمر حتى منتصف الشهر المقبل.

«حرب الأجهزة» ليست في القضايا التي ستُثار أمام الرأي العام من أجل إشغاله عن قضايا أخرى أكثر أهمية، بل ترتبط بطريقة إدارة العلاقة بين النواب وما سيناقشونه، وهو ما انعكس على فتح الملفات وتحديد الأولويات وفق رؤية المخابرات لا النواب الذين لا يشغلهم سوى الظهور الإعلامي والامتيازات التي حصلوا عليها وفي مقدمتها الحصانة. هكذا، جاءت بداية تصفية الحسابات مع وزير الدولة للإعلام، أسامة هيكل، على نحو جعل وكيل «لجنة الإعلام» ومساعده السابق، نادر مصطفى، يهاجم هيكل خلال وقوفه على منصة البرلمان متهماً الرجل الذي كان رئيساً لـ«لجنة الإعلام» قبل توزيره في نهاية 2019 بأنه السبب في العداء بين الهيئات الثلاث التي تدير المنظومة الإعلامية وفق الدستور، في الوقت الذي يشغل منصب وزير بلا حقيبة. الهجوم لم يكن من نادر فقط بل من غالبية المحسوبين على المخابرات بداية من زعيم الغالبية، رئيس الهيئة البرلمانية لـ«مستقبل وطن»، أشرف رشاد، الذي اتّهم هيكل بالجمع بين منصبه الوزاري ورئاسة «مجلس إدارة مدينة الإنتاج الإعلامي» بما يخالف الدستور، وصولاً إلى الشقق التي اشترتها مدينة الإنتاج في عهده بالأمر المباشر.

ترتبط «حرب الأجهزة» بتحديد الأولويات وفق رؤية المخابرات لا النواب (أي بي ايه)

صحيح أن هيكل تحدث عن خسائر الهيئات الإعلامية المتراكمة لكن حديثه جانبه الصواب في التفاصيل، ليتكشّف فصل جديد من الخلافات حول حجم الخسائر والمتسبب فيها بداية من بيانات «هيئة الإعلام» التي تحدثت عن مديونية بالمليارات مروراً بـ«هيئة الصحافة» التي حمّلت سابقيها مسؤولية الخسائر وصولاً إلى بيان «مدينة الإنتاج» الذي تكلم عن «كذب هيئة الإعلام» وكشف جزءاً من خسائر تشارك الهيئة في ملكية أسهمها، في خطوة عكست إخفاء كثير من الأرقام والمعلومات لسنوات. على أي حال، هيكل الذي اختاره عبد الفتاح السيسي، وهو محرر عسكري سابق، سيكون أول الوزراء الراحلين في التعديل المقبل خاصة بعد إقصائه من الاجتماعات المهمة وإخفاقه في إدارة الإعلام نتيجة تمرد مسؤولي الهيئات كافة على قراراته، بعد حصولهم على الدعم من كامل الذي يسعى إلى تشويه صورته وإبعاده من أي دور. وفي هذا، كما تريد المخابرات، رسالة إلى بعض الوزراء الذين أبدوا امتعاضهم من رجال اللواء ممن يجبرونهم على تعيين شخصيات في المناصب القيادية في الوزارات وفق ترشيحات شباب «البرنامج الرئاسي» المقربين من مساعد كامل، الضابط أحمد شعبان.

إضاءة

أميركا: بداية عصر الانكفاء

علي أحمد ملّي

لم يكن يدرك الكاتب والمؤرّخ الأميركي، جيمس تراسلو أدامز، عندما تحدّث عن الحلم الأميركي في كتابه «الملحمة الأميركية»، عام 1931، بأنّ ما يتحدّث عنه هو ضربٌ من ضروب الخيال الذي سيتبدّد. فالحلم بالأرض التي يجب أن تكون فيها الحياة أفضل وأكثر ثراء لكلّ الناس، تحوّل إلى ما يشبه الكابوس بالنسبة إلى الذين سعوا يوماً للانضمام إلى الأمة الأميركية.

الولايات المتحدة التي كانت، منذ مطلع القرن التاسع عشر، تعتبر نفسها منارة الحرية والازدهار، لم تعد قادرة، في القرن العشرين، على إخفاء الأزمات الكامنة التي تتربّص بعقدها الاجتماعي وبكيانها السياسي. فهي، منذ التسعينيات، تواجه تحدّياً حقيقياً تمثّل في حركات المقاومة في الشرق الأوسط، الذي تحوّل عام 2000 إلى تهديدٍ وجودي لحليفتها الأبرز إسرائيل، بعد اضطرارها إلى الانسحاب من لبنان. حينها، تحوّل الجيش الذي لا يُقهر، إلى جيش من الممكن هزيمته ودحره من الأرض المقدّسة. وقد حُفرت هذه الأحداث عميقاً في وعي العرب والمسلمين، فشكّلت دافعاً لهم لمهاجمة العدو الأميركي والإسرائيلي، وكانت بعدها أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001، التي استهدفت أميركا في عمق دارها.

استغلّت الولايات المتحدة هذه الأحداث الأخيرة، من أجل غزو أفغانستان في عام 2001، وبعدها العراق في عام 2003، حيث دخلت في مستنقع استنزاف ستظهر تداعياته، في المستقبل، ليصبح عاملاً أساسياً يضاف إلى كثيرٍ من العوامل التي تهدّد بقاء الحلم الأميركي بحلّته البرّاقة.

وبحسب دراسة للباحثة نيتا سي كراوفورد، في معهد «واتسن» التابع لـ«جامعة براون»، فإنّ الكلفة الإجمالية للحروب الأميركية في الشرق الأوسط، بلغت 6,4 تريليون دولار منذ عام 2001 حتى عام 2020. وتشير كراوفورد إلى أنّ هذه الحروب ترتّبت عليها نفقات كبيرة، أوصلت بطريقة ما إلى العجز، في حين أنّ العبء الإجمالي للميزانية لحروب ما بعد 11 أيلول/ سبتمبر سوف يستمر في الارتفاع. علاوة على ذلك، من المرجّح أن تظلّ الزيادات في الميزانية الأساسية للبنتاغون المرتبطة بالحروب، ما يؤدي إلى تضخيم الميزانية العسكرية على المدى الطويل، وهذا يعني زيادة الأعباء والضرائب على كاهل المواطن الأميركي التي بلغت، خلال السنة المالية 2018، 7,623 دولاراً لكلّ دافع ضرائب. هكذا، لم تكن البنية المالية في الولايات المتحدة بمنأى عن الانهيارات، فسياسة الحروب التي اعتُمدت بعد 11 أيلول/ سبتمبر، كانت من تبعاتها - بحسب جوزيف ستيغليتز الحائز جائزة نوبل وكبير الاقتصاديين في البنك الدولي - أزمة عام 2008 التي انفجرت في أميركا ثمّ امتدت إلى دول العالم، لتشمل الدول الأوروبية والآسيوية والخليجية، فضلاً عن الدول النامية التي يرتبط اقتصادها مباشرة بالاقتصاد الأميركي.

عام 2016، طفت مشاكل أميركا إلى السطح، مع وصول دونالد ترامب إلى سدّة الرئاسة، وشكّل وصوله إلى هذا المنصب تعبيراً عن أزمة اقتصادية وسياسية وأخلاقية صنعتها النيوليبرالية، فهو لم يمارس السلطة، بل امتطاها. أفصح الرجل عن كلّ المُضمَرات في النظام الرأسمالي، فكشف العنصرية والكراهية وازدراء الفقراء، وهي ثوابت حرصت المنظومة الأميركية على إخفائها. مثّل ترامب لحظة انهيار القيَم الأخلاقية في مجتمع سياسي أميركي غطّى جرائمه بحجاب قيَم حقوق الإنسان والديموقراطية. قضى أربع سنوات في البيت الأبيض، تحطّمت خلالها مفاهيم الديموقراطية التي قام على أساسها الحلم الأميركي، ورخاء العيش والأمان الموعود لكلّ من ينتسب إلى الأمة الأميركية. برزت في عهده العنصرية بأبشع أشكالها في أكثر من مناسبة، وانفجر «الغضب الأسود» عندما قتلت الشرطة المواطن جورج فلويد، في حدثٍ أعاد إلى أذهان الأقليات في أميركا عصور العبودية وحركات الانتقام التي شنّها أصحاب العرق السامي (الأبيض) بحقّهم، وخصوصاً بحقّ السود.

سقط ترامب الرجل الأبيض، الذي جاء خلفاً لأوّل رئيس أسود في تاريخ الولايات المتحدة، بتراكم الأزمات التي كان آخرها طوفان «كورونا»، الذي اجتاح الولايات المتحدة والذي أظهر عيوب القطاع الصحّي فيها بشكل فاضح جداً. كانت الأزمة الأميركية تتراكم منذ عقود، وقد أدى «كوفيد- 19» فقط إلى تسريع

> شكّل وصول ترامب إلى الرئاسة تعبيراً عن أزمة صنعتها النيوليبرالية

المسيرة إلى نهايتها الدراماتيكية.

أمّا من الأمور المركزية لتفسير هذه الأزمة، فهو تطوّر التفوّق الأبيض، الشرط الذي استغلّه الحزب الجمهوري بنجاح منذ أواخر الستينيات، عبر ما يُسمى بـ«الاستراتيجية الجنوبية»، لجعل الحزب ممثّلاً عن الغالبية المهدّدة بشكل لا شعوري من قبل التوسّع الديموغرافي والثقافي لأميركا غير البيضاء. وكانت المساهمة الإضافية في ترسيخ الجمهوريين لمعقلهم السياسي الأبيض، تخلّي الحزب الديموقراطي عن قاعدته من الطبقة العاملة البيضاء في طريق الترويج للسياسات النيوليبرالية. هذه الأخيرة كانت مركزية في الأزمة الاقتصادية المتزامنة، فقد قدّمت المبرّر لشحن القدرة التصنيعية والوظائف إلى الصين وأماكن أخرى في الجنوب العالمي، ما أدّى إلى تراجع التصنيع السريع، مع انخفاض وظائف التصنيع من حوالى 18 مليوناً في عام 1979 إلى 12 مليوناً في عام 2009.

قبل وقت طويل من أزمة وول ستريت، في عام 2008، تمّ نقل الصناعات الأميركية الرئيسية، مثل الإلكترونيات الاستهلاكية والأجهزة وأدوات الآلات وقطع غيار السيارات والأثاث ومعدّات الاتصالات والعديد من الصناعات الأخرى التي كانت عملاقة نظام الإنتاج العالمي الرأسمالي، إلى الصين. ومع عمليات التصنيع ذات الأجور المرتفعة ووظائف ذوي الياقات البيضاء التي تمّ إرسالها إلى مكان آخر، تحوّلت الولايات المتحدة إلى واحدة من أكثر البلدان غير المتكافئة في العالم.

هذا الواقع تلقّفه ترامب، فجعل مناهضة العولمة محور برنامجه الانتخابي لعام 2016. ومن خلال ربط مناهضة العولمة بالخطاب المناهض للمهاجرين ونداءات العنصرية ضدّ السود، كان قادراً على اختراق الطبقة العاملة البيضاء التي أعطت، بالفعل، إشارات إلى أنها مستعدّة للتأثّر العنصري في وقت مبكر من عهد رونالد ريغان في الثمانينيات.

جملة التناقضات في البلاد جعلت الحلم الأميركي يفقد بريقه. بالنسبة إلى اليسار هو يُذكر الآن فقط بعبارات ساخرة، كعصر ذهبي ضائع من الحراك الاجتماعي النسبي الذي دمّرته السياسات النيوليبرالية المناهضة للعمّال. وبالنسبة إلى اليمين المتطرّف، فإنّ الحلم الأميركي هو الحلم الذي سلبه الليبراليون من البيض، من خلال جميع أنواع برامج العمل الإيجابي ومنحها للأقليات العرقية والإثنية.

في الواقع، كان النص الفرعي للثورة «الترامبية المضادّة» هو استعادة الحلم الأميركي، والآفاق المشرقة للصعود الاجتماعي - لأصحابها الشرعيين - أي للأميركيين البيض ولهم فقط. عندما استولى دونالد ترامب على الإرث الأيديولوجي لليمين، تمّ إخراج الديموقراطية نفسها ممّا كان من المفترض أن يكون فريداً بالنسبة إلى الولايات المتحدة. في خطابه المعادي للمهاجرين والمؤيّدين للشرطة في المؤتمر الوطني الجمهوري، في آب/ أغسطس 2020، لم يتم ذكر كلمة «الديموقراطية» مرّة واحدة، وهذا ما كان فريداً بالنسبة لأميركا.

مع تحريض ترامب على مقاومة الديموقراطية، وسير قاعدته الجمهورية على لحنه، كما يتّضح من اقتحام مبنى «الكابيتول»، يُتوقع أن تكون السنوات الأربع المقبلة حقبة من الصراع السياسي غير المقيّد. ومع تزايد عجز السياسيين المدنيين عن كسر الجمود السياسي، فقد نشهد حضوراً أكبر للقيادة العسكرية على حساب السلطات المدنية.

ما أحدثه ترامب من تخريب في التقاليد السياسية الأميركية، في الأشهر القليلة الماضية فقط، بدعمٍ لا ينقطع من قاعدته الجماهيرية الكبيرة، قد تكون نتيجته أخذ الولايات المتحدة تدريجياً إلى نموذج تشيلي. هناك انتهى التقليد الفخور بعدم التدخّل العسكري في السياسة، بانقلاب عسكري في عام 1973، بعد مقاومة الجناح اليميني للرئيس المنتخب بشكل قانوني سلفادور أليندي، والتي أوقفت العملية الديموقراطية وأدت إلى عنف في الشارع. حربٌ حرّضت عليها العصابات اليمينية شبه العسكرية، مثل Patria y Libertad التي تشبه اليوم «الأولاد الفخورين» (proud boys)، و«النازيين الأميركيين» و«كو كلوكس كلان».

وبناء على ما تقدّم، يمكن القول إنّ الإمبراطورية الأميركية التي تواجه مستويات مختلفة من التحدّيات، إن على الساحة الدولية عبر صعود لا يقاوَم للصين وعودة لروسيا وبروز قوى دولية صاعدة مثل الهند والبرازيل وقوى إقليمية مشاكِسة مثل تركيا وإيران، أو على مستوى تفجُّر تناقضاتها الداخلية العرقية والاقتصادية والاجتماعية، كلّ ذلك يجعلها تترنّح، لا بل تهتز وتسلك طريق الانحدار. وليس طيّ صفحة ترامب نهاية المشهد، بل هو يؤذن بحقبة انتقالية من عصر الإمبراطورية إلى الانكفاء والانشغال بأوضاعِها الداخلية.

الأخبار
al-akhbar
السبت 23 كانون الثاني 2021 العدد 4253

صورة وخبر

تحت عنوان Scenes (مشاهد)، يحتضن «المركز الوطني لأزياء المسرح» (CNCS) في مدينة مولان الفرنسية لغاية 25 نيسان (أبريل) 2021 معرضاً مخصّصاً للمصمّم اليوناني يانيس كوكوس (1944). وُلد يانيس كوكوس في أثينا، وهو يعيش منذ عام 1963 في فرنسا. درس السينوغرافيا في ستراسبورغ، وشكّل تعاونه على مدى ثلاثين عاماً مع المخرج المسرحي أنطوان فيتاز، إحدى المراحل المهمّة في مسيرته المهنية، إلى جانب عمله ضمن «المسرح الوطني الفرنسي» و«مسرح ميلانو» وغيرهما. اشتغل كوكوس مع مسارح موسيقية كبرى في جميع أنحاء العالم، من بينها «أوبرا باريس» و«لا سكالا». ومنذ عام 1987، يعمل مخرجاً مسرحياً لأعمال درامية وأوبرالية. (تييري زوكولان ــ أف ب)

المتحف الفلسطينيّ يتذكّر هند الحسيني

يخصّ «المتحف الفلسطيني» هند الحسيني (1916 ـ 1994) بلقاء افتراضي (تعقيب أباهر السقا)، بعد غدٍ الإثنين، ضمن سلسلة ندوات «إضاءات على مُربّين مقدسيّين». يشارك في اللقاء بهاء الجعبة، نسب أديب حسين وهيام عبّاس التي جسّدت شخصية الحسيني في فيلم «ميرال» للمخرج الأميركي جوليان شنابل. شكّل لقاء هند الحسيني بأطفال ناجين من مذبحة دير ياسين إدراكاً مبكراً لحجم الكارثة التي حلّت بالفلسطينيين. وكانت مدرستها، دار الطفل، غير تقليدية. إذ دمجت حقولاً حياتية مختلفة، منطلقةً من تجارب الأطفال وحاجاتهم النفسية والثقة بقدرتهم على النهوض بالشعب الفلسطيني.

«إضاءات على مُربّين مقدسيّين: هند الحسيني»: بعد غدٍ الإثنين ـ الساعة السادسة مساءً بتوقيت بيروت ـ «زوم» (الرابط متوافر على موقعنا)

«مترو المدينة» مفتوح أونلاين

في ظل الإقفال العام، يخوض «مترو المدينة» تجربة رقمية عبر موقع «أراتوك». هكذا، يدعو الفضاء البيروتي الجمهور إلى متابعة عرضَيْ «أغاني سرفيسات ـ زمن الانهيار» و«بار فاروق»، بالإضافة إلى الأمسية الطربية التي أدّى فيها الفنان اللبناني عبد الكريم الشعّار (الصورة) رائعة أم كلثوم «دارت الأيّام». «أغاني سرفيسات ـ زمن الانهيار»، عبارة عن حفلة غنائية تتضمّن أعمالاً جديدة «تعبّر عن واقعنا وما نعيشه من «تخبيصات» على المستويات الاجتماعية والسياسية والعاطفية». أما «بار فاروق»، فهو عرض غنائي ـ موسيقي يحاكي موسيقى المسارح والكباريهات التي كانت منتشرة في بيروت فترة الثلاثينيات وصولاً إلى سبعينيات القرن الماضي قبل اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية.

عروض «مترو المدينة» متوافرة عبر موقع www.aratok.com

رودريغو فازكيز: عن أميركا اللاتينيّة وفلسطين والثورة

ضمن سلسلة «عن السينما والثورة» المستمرة لغاية شهر آذار (مارس) 2021، يدعو «مركز خليل السكاكيني الثقافي»، يوم الثلاثاء المقبل، لحضور حديث مع مخرج الأفلام الوثائقية الأرجنتيني رودريغو فازكيز (52 عاماً ـ الصورة)، تحاوره الطالبة والباحثة في مجال الدراسات الثقافيّة في «جامعة كوينز» الكندية لبنى طه باللغة الإنكليزية عبر تطبيق «زوم». يتناول الحديث مسيرة فازكيز الفنية في إخراج الأفلام ذات المحتوى السياسي في الأرجنتين وفي عدد من دول أميركا اللاتينية. كما سيتحدث رودريغو عن العلاقة بين السينمائيين الفلسطينيين واللاتينيين في سبعينيات القرن الماضي، بالإضافة إلى نقاش حول فيلمه «صور فلسطين المسروقة».

استهلّ رودريغو فازكيز حياته العملية في عام 1991 عندما التحق بـ «جامعة السينما» في بوينس آيرس لدراسة الإنتاج السينمائي، لينضم بعدها إلى «المدرسة الوطنية للسينما والتلفزيون» في المملكة المتحدة، كما تعاون مع قناة «بي بي سي وورلد» والقناة الرابعة البريطانية، حيث صوّر الأفلام الوثائقية عن الحروب التي وقعت في أماكن مختلفة حول العالم، ولا سيّما في أميركا اللاتينية والشرق الأوسط. عُرضت أفلامه في مهرجانات مختلفة وحصدت جوائز. وفي سنة 2005، أسّس رودريغو شركة «بيثنال فيلمز» لإنتاج أفلام وثائقية وروائية مستقلّة.

حوار مع رودريغو فازكيز: الثلاثاء 26 كانون الثاني (يناير) الحالي ـ الساعة السادسة مساءً بتوقيت بيروت ـ تطبيق «زوم» (رابط المشاركة متوافر على موقعنا)

فرقة «أدونيس»... «أعداء» بالتقسيط

أطلقت فرقة «أدونيس» اللبنانية (الصورة)، أخيراً، الجزء الأوّل من ألبومها الخامس «أعداء»، على أن تُفرج عن الجزء الثاني في 4 شباط (فبراير) المقبل، قبل أن تكشف عن الجزء الثالث في 18 من الشهر نفسه. بالإضافة إلى أغنية «أعداء» (الفيديو كليب من إخراج عمر خوري وإشراف نديم حبيقة)، يتضمّن الجزء الأوّل ثلاث أغنيات أخرى، هي: «محرّمة»، «من أجمل ما» و«الآتي أعظم». وسيضم الجزءان المتبقّيان سبع أغنيات جديدة، منها عمل مشترك مع الفنانة دانا حوراني. الألبوم من توزيع سليمان دميان، وكُتب وسُجّل بين شهرَي آب (أغسطس) وتشرين الثاني (نوفمبر) 2020 في البترون (شمال لبنان) التي لجأت إليها الفرقة بعد تفجير مرفأ بيروت في الرابع من آب. تتألف «أدونيس» من: أنطوني خوري، جوي أبو جودة، جيو فيقاني ونيكولا حكيم.

الأخبار
al-akhbar

السبت 23 كانون الثاني 2021
العدد 4253 السنة الخامسة عشرة
Samedi 23 Janvier 2021 nº 4253 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

جورج سوندرز
القصة دليلنا إلى الحياة

إذا كانت النصيحة الأولى التي يُسديها جورج سوندرز (1958)، من أجل كتابة جيّدة هي القراءة، فإنه هذه المرّة يقدّم نصيحة مستفيضة لقراءة النتاج القصصي للأدباء الروس، خصوصاً بالنسبة إلى كتّاب القصص القصيرة. بعد عشرات القصص التي نشرها ضمن مجموعات أو في مجلّات (أبرزها «نيويوركر») وجعلته واحداً من أبرز قصّاص أميركا، لا يزال سوندرز يطارد السحر الأدبي الذي انتقل إلينا من روسيا القرن التاسع عشر. سوندرز نفسه هو قاصّ حاذق، يخرج السحر من يوميات أبطاله في وثائق تهكّمية وسوريالية عن أميركا المعاصرة. معظم أبطال قصصه هم من الناس العاديين، يتكلّمون كثيراً وهم يعيشون يوميّات البلاد وانقساماتها العرقية والطبقية، والأهم حين يخوضون العلاقة الإكراهية مع مؤسساتها التجارية وإعلاناتها. الكاتب الذي منحته روايته الوحيدة «لينكولن في الباردو» جائزة «مان بوكر» (2017)، ينجز هذه المرّة كتاباً نقدياً بعنوان «سباحة في بركة تحت المطر» (صدر هذا الشهر عن Bloomsbury)، يأتي حصيلة عقدين من تدريسه مادّة القصّة الروسية القصيرة في جامعة «سيراكيوز» الأميركية. من بين كلّ النتاج الأدبي الروسي، اختار سوندرز سبع قصص لأربعة من عمالقته في القرن التاسع عشر هم تشيخوف، وغوغول، وتولستوي وتورغينيف. يوضح في مقدّمة مؤلّفه أنه لم يختر هذه الأعمال لأنها الأكثر أهمية في تجارب هؤلاء، بل كونها وثائق عن كيفيّة اشتغال الخيال وتطوّره، ولراهنيّتها في هذه الأوقات العنيفة. فالكتابة في روسيا القرن التاسع عشر، كانت مسكونة بأسئلة أخلاقيّة ووجوديّة تقع في صلب القصص المختارة، منها ما يورده اختصاراً في مقدّمة كتابه «كيف علينا أن نعيش هنا؟ ما الذي جئنا من أجل تحقيقه؟ ماذا الذي يجب أن نقدّره أكثر من سواه؟ ما هي الحقيقة، وكيف يمكننا التعرّف إليها؟». تركّز قراءة سوندرز على هذه المساحة التي تصبح فيها القصص القصيرة، سبيلاً إلى الحياة وكيفية العيش، وسبباً لشحن الفضول والدهشة لمراقبتها. يستسلم لمتعة القراءة هنا، لكنه لا يتخلّى عن عين الكاتب في تشريح هذه القصص تقنياً، لشكلها وحبكاتها وأساليبها. قراءة وتحليل ينطلقان أوّلاً من هاجس فردي بالنسبة إلى صاحب مجموعة «العاشر من كانون الأوّل»، وهي طمأنة نفسه بأن التواصل ما زال ممكناً رغم كلّ شيء.

ذكرى

17 عاماً ومازال مرتحلاً بين المنافي

عبد الرحمن منيف... العربي التائه

خيبات السياسة أخذته إلى تجربة روائية فريدة

خليل صويلح

اقتحم عبد الرحمن منيف (29 مايو 1933- 24 يناير 2004) حقل الكتابة الروائية متأخراً. أتى إلى عالم التخييل وهو يحمل على كتفيه النحيلتين خيبات السياسة بوصفها خديعة كبرى، وعطباً غير قابل للإصلاح. كانت روايته الأولى «الأشجار واغتيال مرزوق» (1973) بمثابة مفاجأة، لا تقل في ثقل رنينها عن رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، لجهة أنماط السرد وتمثلات الذات العربية المهزومة، مروراً بأزمة المثقف العربي، وتحوّلات المكان، وصولاً إلى الهزيمة المحقّقة، وتلاشي معنى الوطن كمحصلة نهائية للقمع، والعسف السلطوي، والخيبة العاطفية. رحلة تيه في قطار بلا محطة نهائية، ومثقف خائب بأحلام مجهضة (منصور عبد السلام)، وإذا بجواز السفر يتحوّل إلى «جواز قهر». هذه الثيمات التي ستتسرب إلى أعماله القادمة بمسالك مختلفة، وبعدسة مكبّرة تعمل على تشريح الم الكائن الشرقي المحمول على رافعة الشجن التاريخي للمكان، لا ضوء في نفق هذا الليل الطويل للخزي. سنقرأ «شرق المتوسط» (1975)، باعتبارها إنجيلاً للتعذيب البشري في السجون الصحراوية العربية. سنعيش الكابوس كما لو أننا في ذلك القفص المكشوف فوق الرمال الملتهبة وغزو العقارب السامّة، تحت لهيب الشمس الحارقة، وسيغلق القوس لاحقاً في ما يخص أحوال التعذيب وتطور أدواته في «الآن هنا أو شرق المتوسط مرّة أخرى» (1991). سيبتكر عبد الرحمن منيف في كلّ رواياته أمكنة افتراضية بأسماء وهمية، بقصد توزيع غنائم الخذلان والحيف البشري على كل الخرائط العربية أو على «عالم بلا خرائط» وفقاً لعنوان روايته المشتركة مع جبرا إبراهيم جبرا، وذلك من باب التذكّر لا النسيان. من ضفة ثانية، سيراود الفضاء الصحراوي في روايته «النهايات» التي كانت من أوائل الروايات العربية التي رصدت مجاهل الصحراء، قبل أن يضيئها إبراهيم الكوني بكشّاف آخر، عملاً وراء آخر. في هذه الرواية، نتعرّف إلى بنية النظام البدوي والصراع مع الرمل وطرائد الصيد بمشهديات إيقاعية أسرة، وفتنة سردية، تعوّض خسائر المكان إزاء الجفاف وغضب الطبيعة، والموت، حين تثور عواصف الرمل، فتبتلع قنّاص القبيلة وتدفنه مع كلبه تحت الرمال. هكذا يطيح عبد الرحمن منيف فكرة الرواية المدينية، مكتفياً بفضاء مفتوح على الصمت والريبة والخوف، هو البدوي المرتحل قسراً من بلد إلى آخر والذي عرف عن كثب إغواءات الرمل وأعراف الصحراء، مؤرّخاً يستبصر ما سيأتي من أهوال، بالاتكاء على خطاب لغوي مهجّن، هو مزيج من فصحى ولهجة بدوية بقصد تأصيل سرديات محلية للمكان، تستأنس بالموروث الحكائي حيناً، وانفجارات اللحظة طوراً. إذ لا يتردّد باستدعاء حكايات من التراث السردي القديم في سمر ليالي صحراء «النهايات»، فيما يغذّي طبقات الحوار بما يشبهها في البيئة البدوية. عالم ماتمي ومرائٍ مفتوحة على خرائط حائرة ستتشكل خطوطها على مهل في «مدن الملح» مغامرته السردية الكبرى، وملحمة الصحراء المقبلة على الخراب. كان «الأشجار واغتيال مرزوق» مجرد تمرينات أولية لخوض الأسئلة الشائكة وتفكيك شيفراتها. كان نجيب محفوظ قد أسس للرواية النهرية بثلاثيته المعروفة، لكن عبد الرحمن منيف سيتجاسر أكثر، في استدعاء طبقات الحكي، وينجز «خماسية» في تاريخ لعنة النفط، وانعكاسه على أخلاقيات المدن الطارئة التي لا تتكئ على تاريخ حضري متراكم. ربما أسرف الراوي في تدوين التحوّلات والتغيّرات التي طرأت على هذا المكان، إذ سيبقى القارئ أسير الأجزاء الأولى لجهة الدهشة وفكاهة البداوة الغارقة في الحفاظ على أعرافها في مواجهة كولونيالية الشركات الأجنبية، والصراع القبلي على الحكم. على الأرجح، فقد تماهى المؤرخ وخبير النفط مع الروائي بوصفه صاحب مشروع متكامل، إذ ارتأى تذويب أنماط السرد بالوقائع التاريخية، في هجاء علني لهذه المدن البديلة للحواضر العربية الراسخة: «قصدت بمدن الملح، المدن التي نشأت في برهة من الزمن بشكل غير طبيعي واستثنائي. بمعنى ليست نتيجة تراكم تاريخي طويل أدى

> ابتكر أمكنة افتراضية بأسماء وهمية في رواياته، بقصد توزيع غنائم الخذلان والحيف البشري على الخرائط العربية

إلى قيامها ونموها واتساعها، إنما هي عبارة عن نوع من الانفجارات نتيجة الثروة الطارئة. هذه الثروة (النفط) أدت إلى قيام مدن متضخمة أصبحت مثل بالونات يمكن أن تنفجر، أن تنتفي، بمجرد أن يلمسها شيء حادّ» يقول لن ننسى شخصية «متعب الهذّال» البدوي الذي رفض سلوكيات الأميركان، فاختفى في الصحراء احتجاجاً على هذه القيم الوافدة التي زعزعت طمأنينة المكان. كان على متعب الهذال أن يتوارى إذاً، كي لا يلوّث روحه بما لا يشبهها، لكنه سيظهر كطيف أو كشبح يراقب ما حدث ويحدث في «وادي العيون» من ارتكابات معادية، في نسخة تراجيدية/ شكسبيرية موازية من طيف والد هاملت. تبع متعب الهذال حدسه أولاً، ريبته البدوية، خشيته المبهرة، فالصراعات التي وردت في المتن الروائي كحالات تخييلية، صارت وقائع ملموسة، خرجت من ردهات القصور المغلقة على أسوارها إلى العلن. تكمن هنا إذاً، أهمية الجغرافيا المتخيّلة واستيعاب أرواح شخصياتها ومصائرها، بدون رهانات إيديولوجية جاهزة تهيمن على سلوكياتها. فههنا يعمل الروائي وحسب، بعيداً عن سيرة المؤلف وتحوّلاته الإيديولوجية بين أحزاب اليسار، إذ ينظّف حقوله السردية من رهاناته الفكرية لمصلحة العمارة الروائية في المقام الأول، من دون أن يتخلّى عن تحريض شخوصه على مواقف وتطلعات مختلفة، في ما يسميه فيصل درّاج «علم جمال المضطهدين». هذا المسح الطوبوغرافي لتضاريس شبه الجزيرة العربية تقابله وتشتبك معه قراءة سوسيولوجية للمجتمع القبلي المتحوّل الذي فقد أصالته البدوية من جهة، ولم يؤثث مدنية وحداثة من جهة ثانية، فالملح لا ينخز المدن وحدها، وإنما يتسرّب إلى أرواح بشرها.

في مدوّنة أخرى هي ثلاثية «أرض السواد» (1999)، سيستعيد الروائي/ المؤرخ تاريخ العراق في القرن التاسع عشر والمؤامرات التي حيكت في/ وعلى هذه البلاد، راسماً بدقة طبائع الشخصية العراقية في قسوتها وحنانها، في شغفها وأحزانها، بالإضافة إلى موروث السومرية والأكادية والبابلية، وخيانة الوصايا، ما أدى إلى الخراب والفوضى وانطفاء التشييد. كان ما حدث أمس حدث لاحقاً بالعنف نفسه، معوّلاً، كما في «مدن الملح» على الجموع، بإعادة الاعتبار إلى البشر المهمّشين، وكتابة تاريخهم المهمل. وفي سكة ثالثة، سيقارب الموضوع الفلسطيني في روايته المشتركة مع جبرا إبراهيم جبرا «عالم بلا خرائط» في مواجهة صريحة مع تاريخ الهزائم، فالهزيمة ليست هي الهدنة وفقاً للمرجعيات المراوغة. رواية تنشئ فلسطين مشتهاة، بعيداً عن الخديعة الرسمية في تاريخ الاحتلال والاغتصاب وتواطؤ الأنظمة. هذا التنوّع في الجغرافيات الحكائية يأتي ترجيعاً لسيرة الروائي نفسه، وترحاله القسري بين معظم البلدان العربية، وعلى نحو أدق، بين المنافي: من عمّان إلى بغداد، إلى القاهرة، إلى بلغراد وباريس، وانتهاء بدمشق التي دُفن فيها. روائي وجد نفسه محروماً من جنسية بلاده (السعودية)، فانتمى إلى كل الجنسيات العربية. لم يكتفِ منيف بالكتابة الروائية، إنما ذهب إلى حقول كتابية أخرى، فعمل على أرشفة سيرة المدن، ومعنى المنفى، و«لوعة الغياب»، بالإضافة إلى عنايته بالتشكيل. مراسلاته مع مروان قصاب باشي تؤكد على شغفه باللون وتوقه للرسم بدلاً من الكتابة، مثلما سيصوغ الأخير تخطيطات مائية لأغلفة كتب الروائي، وبورتريهاً له، وإذا بانكسارات وجهه تنفتح على ما يشبه صحراء بالبني المحروق والأحمر الداكن، صحراء موشومة بالألغاز.

عمل على الرشفة سيرة المدن، ومعنى المنفى، و«لوعة الغياب»، بالإضافة إلى عنايته بالتشكيل

أن نبقى، لا أن نعود

يزن الحاج

بعدما فرغ عبد الرحمن منيف من روايته الأخيرة «أرض السّواد» (1999)، اتّجه إلى جنس كتابيّ آخر: المقالة. كانت تلك المرحلة أشبه باستراحة بعد الجهد الهائل الذي بذله في كتابة «أرض السّواد» وما سبقها من روايات. كان منيف قد أصدر عام 1991 كتاب «الكاتب والمنفى»، ولكنّ ذلك الكتاب - على أهميّته العظيمة - كان تجميعاً لحواراته، فيما كانت المرحلة الجديدة مختلفة. وكانت أولى ثمارها كتاب «بين الثقافة والسياسة» (1999) الذي بدا أقرب إلى مفتاح للحياة المزدوجة التي عاشها منيف: السياسيّ السابق والروائي الحاليّ. ولعلّ هذا المفتاح لم يكن ليظهر لولا انغماس منيف مع سعد الله ونّوس وفيصل درّاج في سلسلة «قضايا وشهادات» التي كانت المعبّر الأكبر والأفضل عن الدور المزدوج للكاتب في الفضاء العام. ومن ثمّ اتّجه منيف إلى زاوية مهملة في الكتابة العربيّة: الكتابة النظريّة في الرواية وعنها. كانت الكتابة النظريّة، وما زالت إلى حدّ كبير، حكراً على النقّاد، إذ يفضّل الكتّاب الإبداعيّون النأي بأنفسهم عن التحدّث عن «مطبخ الكتابة»، والتفرّغ للكتابة الإبداعيّة في ذاتها. لم يطرح منيف نفسه ناقداً، بل فضّل البقاء، على الحافّة، بحيث كانت تجربته النقديّة النظريّة مُستمدَّةً من تجربته الإبداعيّة، كي يمنحنا عام 2001 ثلاثة كتب تبدو أقرب إلى ثلاثيّة متكاملة: «رحلة ضوء»، الكتاب الأبرز الذي طرح فيه منيف رؤيته الشخصيّة للكتابة، وللرواية على الأخص، «ذاكرة للمستقبل» الذي يبدو قريباً من «بين الثقافة والسياسة» مع تركيز أكبر على التاريخ بوصفه «ذاكرة إضافيّة للإنسان» على حدّ تعبيره الأثير، «لوعة الغياب» الذي لا يشبه أيّ كتابٍ من كتب منيف، ولا أحسب أنّ له مثيلاً في العربيّة، حديثاً على الأقل.

ينطلق كتاب «لوعة الغياب» من الموت، ثيمةً وتأسيساً لكتابة تنوس بين النقد والذاكرة، بين الموضوعي والذاتي. ينطلق الكتاب من عنوانه البديع، إذ يشير منيف إلى أنّه استعار الكلمة الأولى من ديوان «لوعة الشمس» لجبرا إبراهيم جبرا، فيما استعار الكلمة الثانية من القاموس البدوي، حيث يستخدم البدو كلمة «الغياب» لا بمعنى التلاشي، بل للدلالة على الغروب الذي سيتبعه شروق حتماً. الغياب هنا، وإنْ كان موتاً، غياب موقّت تُخلق منه حياة جديدة، حين يشدّد منيف على أهميّة «المراكمة الإيجابيّة»، أي استثمار الموت بهدف قراءة موضوعية لتجربة من رحلوا كي نؤسّس عليها بناءً جديداً للجيل اللاحق: ذاكرة تتراكم لتبني، لا أن تكون محض فرصة للرثاء العابر الذي ينتهي بانتهاء مناسبته. وبذا، لا يبتعد منيف من الفكرة الجوهرية التي تقوم عليها أعماله كلها تقريباً: سباق التتابع، حيث يُسلَّم كلّ جيل أو كل شخصيّة اللواءَ للجيل أو الشخصية اللاحقة، كي تستمرّ دورة الحياة ولو تخلّلها موت عابر. ينتقي منيف هنا 26 شخصيّة أدبيّة وثقافيّة ارتبطت بالموت، إما حرفياً حين رحلت تلك الشخصيّات فكتبَ عنها منيف دراسات مهمّة، أو مجازاً في الاستشهاد الوحيد الذي مثّله حليم بركات، حيث كان عمله لا شخصيّته، هو المرتبط بالموت، في رواية/ سيرة «طائر الحوم». انتقاء الشخصيّات مرتبطٌ بذائقة منيف، إذ يشير إلى هذا صراحةً في مقدّمته للكتاب. سيفترض وجود الذائقة اختلافاً ضرورياً حيال مدى أهميّة أحكام منيف التي أسبغها على هؤلاء الكتّاب، إذ قد نتّفق أو نختلف بشأن الاحتفاء المبالغ به بشأن نزار قبّاني مثلاً، أو بشأن التفاوت في عدد الصفحات المكرّسة لكلّ شخصيّة من الشخصيات. لا حلّ بشأن معضلة نزار، لكنّ المعضلة الثانية مرتبطة برحيل منيف نفسه، إذ أضاف الناشر 12 أو 13 شخصيّة لم تكن في الطبعة الأصليّة للكتاب في حياة منيف (2001)، بحيث بدا الفارق واضحاً بين الرثائيّات السريعة لتلك الشخصيات، وبين الدراسات العميقة المكرّسة للشخصيّات الـ14 الأولى.

لكن فلنبدِ في ما نحن مُتّفقون عليه، أي الدراسات الـ14 الأولى في الكتاب، حيث يمنحنا منيف دراسات عميقة ومهمة وفريدة تنتقل بسلاسة بين الثقافة، والأدب، والنقد، والذاكرة، والتاريخ. ولعلّ أهمّ دراستين في الكتاب هما الدراستان اللتان كرّسهما منيف لسعد الله ونّوس ولغائب طعمة فرمان، ويمزج فيهما ببراعة جميلة بين الذاتي والموضوعي، ليقدّم لنا جنساً أدبياً غير معترف فيه عربياً بكل أسف، إذ تندرج القراءات النقدية العربية بين تصنيفين مفضلين بينهما هوّة كبيرة لا سبيل إلى رتقها: كتابة نظرية جافة منفّرة كما في الغالب الأعم من القراءات النقدّية، أو كتابة ذاتيّة تبدأ وتنتهي بالعلاقة الشخصية التي تربط الكاتب بالشخصية التي يكتب عنها بدون أدنى مسافة موضوعية، بحيث تتحوّل إلى احتفاء مجاني لا قيمةَ له بعد انتهاء مناسبته. يكتب منيف انطلاقاً من تجربته الشخصية، لكنّه يوسّع آفاق تلك الكتابة لتسليط أضواء مهمّة على الجوانب المهملة من حيوات الشخصيات موضوع الدراسة. تتحوّل رسائل غائب طعمة فرمان الشخصية إلى وثائق فريدة لنفهم شخصيّة فرمان وأعماله أكثر، على الأخص من ناحية التأثير المتبادل بين فرمان والمنفى الطويل والبعيد الذي أقصاه عن بغداد. وتتحوّل تجربة منيف الشخصية في مشاهدة مسرحيّة ونّوس «حفلة سمر من أجل 5 حزيران» إلى نقطة انطلاق يُعمِّق فيها منيف دراسة علاقة ونّوس بالتاريخ وبالسلطة، مع تركيز خاص على مسرحيّة «منمنمات تاريخيّة» وكتاب «عن الذاكرة والموت». وتتحوّل ذكريات منيف الشخصية مع جبرا إلى تحليل دقيق لبغداد الخمسينيّات بكلّ تيّاراتها السياسية والاجتماعية والثقافية. على أن ذلك التّلاقي البديع بين الذاتي والموضوعي يصل إلى أقصى درجات اللوعة حين يتحدّث منيف عن حسين مروّة: لينطلق من سؤال مروّة العابر عن شخصيّة متعب الهذّال في رواية «التّيه» (الجزء الأول من خماسيّة «مدن الملح») بشأن الفارق بين العودة والبقاء، ليتحوّل مروّة إلى تجسُّد آخر من تجسّدات متعب الهذّال، أو العكس بالعكس، ويوغل منيف في تشريح معنى القتل ومعنى الحرب الأهليّة ومعنى غسيل العقول الذي يُنتج قتلةً بمقابل تنوير العقول الذي ينتج أجيالاً جديدة. لكن يبقى سؤال مروّة ومنيف صادحاً: هل المهم أن نعود أم أن نبقى؟ لا نعلم النّتاج الذي كان منيف سيقدّمه لنا لو عاش هذه السنوات الـ17 التي تفصلنا اليوم عن رحيله، كأن قد باح لمروان قصّاب باشي بأنّه لن يعاود كتابة رواية طويلة بعد «أرض السّواد»، ولكنّه قال العبارة ذاتها بعد «مدن الملح». ليس هذا مهماً، ولا فائدة من التحسّر. منيف لن يعود، ولكنّه سيبقى. هذا هو المهم.

* كاتب وباحث من الأردن

عن «مدن الملح» التي لا ذاكرة لها

حسام عبد الكريم *

لا بد للباحث في شأن الرواية في الأدب العربي الحديث أن يتوقّف طويلاً عند الكاتب «العربي» عبد الرحمن منيف. ونضع «العربي» بين قوسين لأن صفة «العربي» هي وحدها التي تليق به. فأعماله الأدبية الرائعة كانت تغطي طيفاً واسعاً من البلاد العربية في آسيا. «شرق المتوسط» عن سوريا، «سيرة مدينة» عن الأردن، «أرض السواد» عن العراق، وأخيراً والأهم «مدن الملح» عن السعودية. وعدا مواضيع أعماله، صفة «العربي» هي أكثر ما يناسبه من ناحية شخصية! فهو من نجد في جزيرة العرب، ولكنه ليس سعودياً (سُحبت منه الجنسية السعودية) بل ربما لم يعُد في بلده الأصلي قطّ! فقد وُلد سنة 1933 في عمّان في الأردن، ونشأ فيها يتيماً بعدما توفي أبوه وهو طفل. ليس هناك الكثير من المعلومات عن والده وأسباب علاقاته (الوثيقة) مع بلاد الشام والعراق. بعد إنهائه دراسته الثانوية في عمان، أخذته أمه العراقية (هناك من يقول إنّ جدته لأمه هي العراقية) إلى بغداد سنة 1952 حيث استقر، طالباً في جامعتها يدرس في كلية الحقوق، لكنه سرعان ما تعرّض للطرد من العراق على يد النظام الملكي سنة 1955 (بعد توقيع معاهدة حلف بغداد) بسبب نشاطه السياسي (انضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي) فانتقل بعدها الى مصر ليتابع دراسته في جامعة القاهرة. بعد تخرّجه، سافر إلى يوغوسلافيا سنة 1958 وحصل على الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة بلغراد سنة 1961. عاد منيف بعدها إلى سوريا، ليعمل في قطاع النفط ومن ثم إلى بيروت حيث اشتغل في الصحافة. وفي عام 1975، رجع إلى العراق حيث تولى مسؤولية تحرير مجلة «النفط والتنمية» وبقي في العراق إلى عام 1981 حين غادره (بسبب معارضته للحرب العراقية الإيرانية وحكم صدام حسين) إلى فرنسا. وفي عام 1986، عاد إلى سوريا حيث بقي إلى أن توفي سنة 2004.

هكذا كانت حياة الأديب النجديّ تنقلات متواصلة في بلاد الشام والعراق ومصر، تخلّلتها فترات في أوروبا، من دون أن يكون لوطنه الأصلي (تعود جذوره العائلية إلى منطقة القصيم في السعودية) منها نصيب. فمعارضته الصلبة والمبدئية لنظام آل سعود بقيت معه إلى آخر يوم في حياته. يروي الصحافي الكويتي نجم عبد الكريم، أنّه في أواخر عمره، وعندما أصيب بالفشل الكلوي، أرسل له

> السلسلة هي أعظم عمل أدبي تاريخي عن المملكة السعودية ومجتمع نجد والحجاز في القرن العشرين

الأمير عبدالله بن عبد العزيز من يعرض عليه العودة إلى السعودية مع وعد بالعفو عنه، بل رعايته وعلاجه، لكنه رفض رغم المعاناة وضيق الحال وفضّل البقاء في دمشق إلى أن مات فيها. وقد أوصى زوجته بأن لا تقبل أي عرض لدفنه في السعودية. وقبل ذلك، رفض عرضاً من الأمير عبد العزيز بن فهد بتحمّل نفقات إرساله للعلاج في أي دولة في أوروبا. ويقول نجم عبد الكريم إنّ عبد الرحمن منيف رفض حتى تسلّم مبلغ نقدي كبير أرسلته له جهات في السعودية من خارج العائلة الحاكمة. وقال لمن جاء يعطيه المبلغ في المستشفى: إن هذا المبلغ هو محاولة لشرائه وهو يأبى أن يبيع نفسه!

هذه المواقف الحادّة من النظام الحاكم في السعودية ليست مستغربة من الرجل الذي كتب «مدن الملح»، فهذه السلسلة هي بلا شك أعظم وأهم عمل أدبي/ تاريخي عن المملكة السعودية ومجتمع نجد والحجاز في القرن العشرين. إنها عملٌ ملحميّ حقيقي يتكوّن من حوالى 2500 صفحة كتبها عبد الرحمن منيف ما بين 1984 – 1989 في خمسة أجزاء سماها: «التيه»، «الأخدود»، «تقاسيم الليل والنهار»، «المُنبَتّ» و«بادية الظلمات».

قراءة «مدن الملح» تحتاج إلى نفس طويل، وإلى تركيز وانتباه شديدين. عنوان الرواية معبّر من الرواية، وهي شخصية أقرب إلى الحلم، نظراً إلى القيم والمبادئ السامية التي يحملها، وهو الغاضبُ المتوجّس بفطرته من الآخر وبنية تحتية رفيعة، ولكنها مصطنعة وليست حقيقية، بلا عمق ولا جذور. إنّها دول من إنتاج مقاولين وأجانب ونهّازي فرص، قبضوا ثمن شغلهم نقداً وسَلَفاً.

تناولت «مدن الملح» مجتمع الجزيرة العربية، وبالذات نجد والحجاز، قبل اكتشاف النّفط، وهو الذي كان يعيش في بيئة بدوية متواضعة، وبحياة بسيطة جداً. سبّب اكتشافُ النّفط تغييراً جذرياً في البلاد، وأدى إلى تحوّل قيم المجتمع بشكل مخيف ومتسارع. الصدمة حدثت بعدما جاءت الشركات الأجنبية وبدأت تشيّد مراكز لها في موران (الاسم الرمزي الذي اختاره منيف لبلد روايته) من أجل مشاريع الاستثمار واستخراج النفط. كانت تلك الشركات تضمّ في صفوفها رجالاً ببيضاً ونساءً شقراوات (شبه عاريات) خلافاً للقيم السائدة. وضع منيف في «مدن الملح» شخصية استثنائية، وهو متعب الهذّال، الذي كان حضورهُ مكثّفاً في الجزء الأوّل من الرواية، وهو شخصية أقرب إلى الحلم، نظراً إلى القيم والمبادئ السامية التي يحملها، وهو الغاضبُ المتوجّس بفطرته من الآخر الأجنبي، والذي دافع وبشدّة، عن أصالة المجتمع؛ رافضاً الاستثمار الأميركي، ومعتبراً أن النّفط صار نقمة لا نعمة. وقد أبدع عبد الرحمن منيف وهو يصف نهاية متعب الهذّال في الصحراء التي خرج إليها بصمتٍ رهيب وحزن تاركاً خلفه مما رأه من تخاذل أهل قريته.

تحدثت الرّواية بالتفصيل عن ثلاثة ملوك: خريبط وخزعل وفدن، وصفاتهم تنطبق تماماً على الملوك الذين حكموا في تلك الفترة (عبد العزيز، سعود وفيصل). انتقل منيف في أجزاء روايته الخمسة من ساحات المعارك التي خاضها السلطان خريبط لتوحيد الجزيرة العربية وتثبيت حكمه فيها إلى مخادع نسائه وصراعاتهن وتأثيراتها على علاقات الأبناء وتنافسهم على السلطة. وانتقل من القصور ودهاليزها وحكايات الخدم والعبيد إلى حياة البسطاء من أهل البلد المأخوذين بالتحولات السريعة.

وشرحت الرواية تفاصيل انقلاب فندر على أخيه خزعل واستيلائه على الحكم، وكيف تحوّل «الملك» خزعل، صاحب الجاه والهيلمان، الى منفيّ تعيس في ألمانيا (جاءها لقضاء شهر عسل مع عروس جديدة) يثير الشفقة وهو غير مصدق لما جرى ويعيش أحلام اليقظة بأن «رجاله» سيعيدونه إلى البلد، وعندها سوف ينتقم ويعاقب كل الخونة الذين ناصروا أخاه الغادر! وكم كان رائعاً عبد الرحمن منيف وهو يغوص في أعماق عقل السلطان خزعل ويكشف عن هواجسه وطريقة تفكيره وأوهامه... كأنه كان هو !

ومن الشخصيات الرئيسية في الرواية «الدكتور صبحي المحمليجي» الذي هو طبيبٌ شاميّ جاء طمعاً في الثروة في بلاد السلطان فرأى الناشئة، واستطاع بذكائه ودهائه الوصول إلى «العود»، وهو المصطلح الذي يستعمله منيف للإشارة إلى الملك، وصار شخصاً لا يستغني عنه السلطان خزعل يوماً واحداً بعدما أصبح كاتم أسراره الصحية ومزوّده الرئيسي بالمقوّيات الجنسية. وبحكم العلاقة الخاصة جداً هذه، أصبح «الحكيم» من أهم الشخصيات في السلطنة وأكثرها نفوذاً وثراءً، قبل أن تتم الإطاحة به على يد الأمير/ السلطان فنر الذي اعتبره من رجال أخيه المخلوع. لكن ابنه «غزوان» الذي تعلم في أميركا، تمكّن من تجاوز أزمة أبيه وتابع المسيرة وصار من أثرى الأثرياء، بعد أن دخل في شراكات مع أمراء العهد الجديد وصفقات سلاح وسمسرة. كان غزوان يضع نصب عينيه دائماً نصيحة أبيه الحكيم: الوطن، يا غزوان، ليس البلد الذي تعيش فيه، ولا الأرض التي ولدتَ فيها. الوطن، يا غزوان، هو القرش الذي في جيبك.

اختلفت آراء الباحثين حول من يكون صبحي المحمليجي في الحقيقة، فمنهم من اعتبره محمد خاشقجي، ومنهم من قال إنّه كمال أدهم، أو رشاد فرعون. وربما يكون هو كل هؤلاء مجتمعين. لكنّ آراء الباحثين لا تختلف على أن «مدن الملح» مثّلت نقلة نوعية في السرد التاريخي الأدبي وخلّدت الأديب الكبير عبد الرحمن منيف الذي قال: «وإذا كان لكل قريةٍ ولكل مكانٍ ذاكرةٌ وقلب، فإنّ المدنَ الكبيرة، خاصة التي تتكوّن وتتغيّر بسرعة، تفقد ذاكرتها وتتعلمُ القسوة بإتقان».

* كاتب وباحث من الأردن

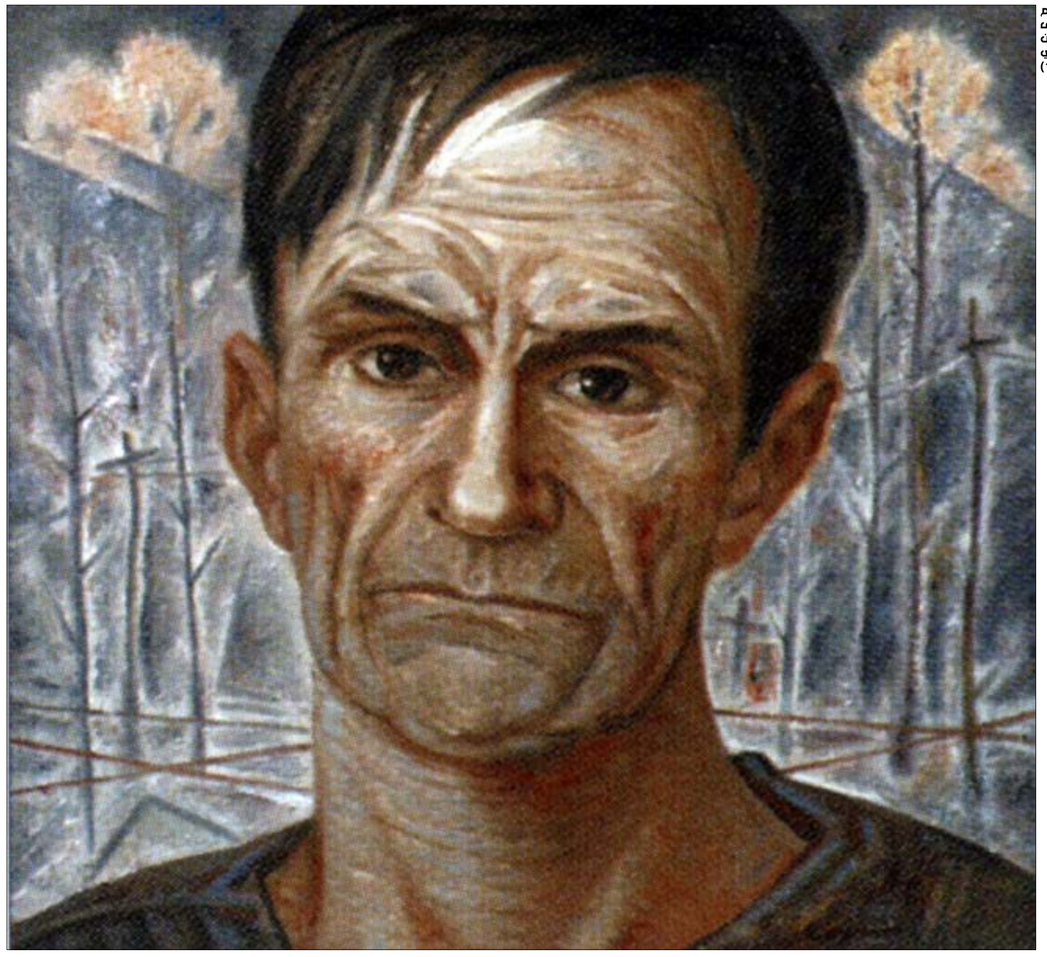

فرلام شالاموف بريشة جان كريسزيفسكي (1987)

ترجمة

فَرلام شالاموف* : ثمار برّيّة

عن الروسية **نوفل نيّوف**

قال فاديياف: «انتظرْ، فأنا سأكلّمه». ثم دنا منّي وقرّب أخمص بندقيّته من رأسي.

كنتُ مستلقياً في الثلج لا أستطيع النهوض والعودة إلى مكاني بين مجموعة الرجال الذين يهبطون من الجبل. وكان على كتف كلّ منهم خشبة، أو «حزمة حطب» متباينة الحجم.

كان الجميع يتعجّلون الوصول إلى البيت، سواءٌ في ذلك الحرّاس والسجناء. كلّهم كانوا توّاقين إلى الطعام والنوم بعد يوم شتويّ لا نهاية لطوله ومضجر للغاية. أمّا أنا فكنت مستلقياً في الثلج.

اعتاد فاديياف الكلام مع كلّ سجين متوجّهاً إليه بضمير المخاطب «أنتم»:

«اسمعوني، أيّها العجوز». قال لي: «لا يمكن أن يكون لوحُ مثلكم عاجزاً عن حمْل هذه الخشبة، أو ربّما هذه «العيدان». واضحٌ أنكم تدّعون الضعف، فأنتم فاشي. إنكم تدسّون العصيّ في العجلة، بينما وطننا يقاتل العدوّ.

«لسْ فاشياً، قلت له». إنني رَجل مريض وجائع. أنت الفاشيّ. إنك تقرأ في الجرائد كيف يقتل الفاشيّون كباز السنّ. فكّرْ كيف ستحدّث خطيبتك عمّا تفعله في كوليما. لم أكن أبالي بشيء. ولم أكن أطيق ذوي الخدود الحمراء المعافين، الشعاعين، حسَني الهندام، ولا أخافهم. ولكنّي لكي أحمي بطني تكوّرت بحركة غريزيّة، موروثة عن الأجداد. فأنا لم أكن أخاف إطلاقاً من الضرب على البطن. وقد رفسني فاديياف بجزمته على ظهري، فأحسستُ بالدفء فجأة، ولم أشعر بأيّ ألم. إذا متُّ كان ذلك أفضل.

«اسمعوني». قال فاديياف وقد أدار بجزمته وجهي نحو السماء. «إنكم لستم أوّلَ من تعاملتُ معه من أمثالكم.

اقترب منّا حارسٌ آخر هو سيروشابكا:

«هيّا انطزْ إليّ، سأتذكّرك. يا لك من شرير وقبيح. غداً بَيْدَيْ هاتين سأطلق عليك النار. هل فهمت؟

«فهمت، قلت له وأنا أنهض وأبصق مع اللّعاب دماً.

جررتُ خشبتي جرّاً تحت وابل من هياج وصراخ وسُباب يصبُّه عليّ رفاقي الذين تجمّدوا من البرد وأنا أتلقّى الضرب.

في صباح اليوم التالي، قادنا سيروشابكا إلى غابة كانت أشجارها قد قُطعت منذ الشتاء الماضي، لنعمل فيها بجمع كلّ ما يمكن إشعاله شتاءً في المدافئ الحديدية. لقد قطعوا الأشجار في الشتاء وظلّ ما بقي من جذوعها عالياً. كنّا نقتلع بقايا تلك الجذوع بالمِخْلاب الحديد، ثم نقطّعها ونجعلها أكداساً تُحمَل.

علّق سيروشابكا على ما تبقّى من أشجار سليمة نادرة حول مكان عملنا باقات من عشب بابس أصفرَ ورماديّ اللون تحدّد لنا المنطقة التي يحرّم علينا دخولها.

أشعل أمير مجموعتنا ناراً فوق تلّة صغيرة يتدفّأ بها سيروشابكا . فقد كان مسموحاً بالنار للحارس فقط . وأجهد نفسه بتكديس كثير من الحطب الاحتياطي.

كانت الريح قد بدّدت من زمان ما تساقط من ثلج. والعشب الذي تجفّد عليه الماء كان يترلّق بين أيدينا ويتغيّر لونه ما إن تمسّه يد إنسان. ونبتات الوَرِكين الجبليّة القصيرة، المتجمّدة بين الأعشاب، كان يفوح من ثمارها ذات اللون البنفسجيّ الغامق والتي مسّها الصقيع، عبقٌ غير عاديّ. ولذّ مذاقاً منها عنب البقرة الذي كنت أكلُ ما أجمعه من هذه الثمار، أضغط بعناية وجشع على كلّ حبّة منها بين لساني وسقف حلْقي، فتدوّخني عصارتها الحلوة العطرة لحظة.

لم يخطر لي أن أساعد ريباكوف في جمع الثمار. ولا ريباكوف كان راغباً بهذه المساعدة، وإلا بات عليه أن يقاسمني الخبز. كانت الثمار تزداد في علبة ريباكوف ببطء شديد، نظراً إلى ندرتها المتزايدة. ولمّا كنا نجمع الثمار ونحن منهمكان بالعمل، لم ننتبه إلى أننا اقتربنا من حدود المعسكر، إذ كانت باقات العشب تتدلّى فوق رؤوسنا.

«انتبهْ، قلتُ لريباكوف. يجب أن نرجع. غير أن ثمار نباتات الوَرِكين وعنب البقرة والتوت البرّيّ كانت أمامنا. وقد رأينا من زمان هذه النبتات المثمرة على بُعد متزين عن الشجرة التي كانت تتدلّى منها باقات العشب.

أشار لي ريباكوف إلى العلبة التي لم تمتلئ بعد، وإلى الشمس وهي تنحدر على الأفق، وراح يتقدّم ببطء صوب حبّات الثمار المُغرية.

نُشيش طلّقة خاطف، وسقط ريباكوف على وجهه بين النباتات. صرخ سيروشابكا وهو يلوّح ببندقيّته. اتركْه في مكانه، لا تقترب!

هيّأ سيروشابكا زِناد بندقيّته وأطلق عليه رصاصة أخرى. كنّا نعرف ما معنى هذه الطلقة الثانية. وكان سيروشابكا يعرف أيضاً معناها. إذ يجب أن يكون هناك طلقتان، فالأولى طلقة إنذار.

كان ريباكوف منبطحاً بين النباتات صغيراً على نحو غير متوقّع. فقد كانت السماء والجبال والنهر على قدْر من الضخامة بحيث لا يعلم إلا الله كم عددُ من يمكن قتلهم في هذه الجبال على الدروب بين النباتات.

تدحرجتُ علبة ريباكوف بعيداً عنه، فتمكّنت من أن التقطها وأخذتُها في جيبي. قد يعطونني خبزاً مقابل الثمار التي فيها، فأنا أعرف لمن كان يجمعها ريباكوف.

صفّ سيروشابكا أفراد مجموعتنا الصغيرة بهدوء، فعَدّنا من جديد، ثم أوعز لنا بالسير وقادنا إلى البيت.

لامس كتفي بفوهة بندقيّته فالتفتُّ إليه.

«كنتُ أريدك أنت»، قال لي سيروشابكا، ولكنّك لم تتدخّلْ أيّها الوغد...

* كاتب روسي (1907-1982)؛ يعتبر نفسه وريثاً للحداثة الأدبية لبداية القرن العشرين، بعكس غالبية الكتاب الروس الذين يرفدون من التراث السردي للقرنين 18 و19. سيتم توثيقه داخل مطبعة كانت تستعد لنشر وصية لينين المتحفّظة على خلافة ستالين له. ليحكم عليه إثر ذلك بثلاث سنوات من الأشغال الشاقة. في عام 1937، سيتم اعتقاله للمرة الثانية ويُنفى إلى كوليما، في أقصى الشرق السوفياتي، حيث سيكتب مجموعته السردية الضخمة «محكيات كوليما» (اجتُزئت منها القصة أعلاه) التي ظلّ يكتبها من عام 1954 حتى عام 1973.

قصة قصيرة

النيل عند وكالة البلح

صابر رشدي*

عدا واحد منّا، كان ينتظر على الشاطئ لحراسة ملابسنا وأحذيتنا، حتى لا يسرقها الصبية المشرّدون، أو العيال القادمون من مناطق أخرى لينقضّوا على هذه الأشياء ويفروا بها هاربين. واحد منا، كنا نبقيه، يرقب الوقت والنهر، حارساً لا يعرف التململ، ولا يغريه الماء قبل خروجنا. كنا نهبط، على الدرج الحجري للسباحة واللعب في هذا المكان القريب من «وكالة البلح»، وكنا نسميه «الثلاث شجرات» حيث ثلاث نخلات خارجات من جذر واحد، تشكل هذا المنظر الفريد. على الضفة المقابلة، تتراص بنايات وقصور عتيقة، وعمارة يطل منها الموسيقار محمد عبد الوهاب، إنها جزيرة الزمالك، وإلى الجنوب قليلاً يتمدّد «كوبري أبو العلا» التاريخي، واصلاً بين عالمين متنافرين برباط وهمي، عبرناه آلاف المرات، متطفّلين على الوجوه الشهيرة، القاطنة هناك، نراهم وهم يسيرون الهوينى، أو يقودون السيارات الفارهة. في هذا اليوم، احتدم الصراع بين محمود حنفي، وسامي السيد، من يستطيع الوصول إلى الضفة الأخرى، ثم العودة أولاً، كنا نتابعهما، كل مجموعة تناصر واحداً منهما.

لكن يبدو أن التحدي قد سيطر عليهما، متجاوزاً كل التوقعات، إنهما لا يكتفيان بهذا السباق، بل شرعا يصعدان إلى الصنادل البحرية التي تشق النهر، يستريحان قليلاً على سطوحها، ثم يعاودان القفز، حتى عادا إلينا، لكن فكرة مجنونة طرأت فجأة، صادرة عن محمود هذه المرة، إنه يريد القفز من فوق كوبري أبو العلا كنقطة انطلاق لسباق ثنائي يبدأ من هناك.

حيال هذا الإصرار، اضطر سامي إلى الموافقة المشروطة: أن يكون السباق مقابل نقود، اتفقا على مبلغ معين، يكون من نصيب الفائز، لينطلقا بعدها سيراً على الأقدام بمحاذاة سور الكورنيش في طريقهما إلى الجسر الشديد الارتفاع.

ـ سأعود إلى البيت، بادرنا جمال إمام، قلقاً، ومتوتراً.

قلت له: انتظر حتى يعودا إلينا.

ـ والمسيح الحي سيغرقان.

إنه لطفي عشم، يقسم منتحباً، وهو يرتعد بشدة، ما أوسع مجالاً لسريان الخوف بيننا، حدّثنا وهو يبكي عن تاريخ حافل بالمفقودين في قاع النهر. أبطاله جميعاً من شارعنا، ومن المناطق المحيطة بنا، محصياً كثيراً من الأسماء التي نعرفها عن كثب.

ـ سيقتلنا أباؤنا، أضاف جلال فاروق، الرفيق الحميم للعزلة، وأكثرنا مقاومةً للابتعاد عن المنزل.

ـ أنا أيضاً سأنصرف، هتف سمير عبد الرحيم قبل أن يختفي عن أنظارنا، معطياً إشارة خفية، بدأ الجميع بعدها في الانسحاب واحداً وراء آخر، فاضطررت أنا أيضاً للانضمام إليهم، حتى لا أكون الشاهد الوحيد على المأساة.

انطلق الجميع باتجاه وكالة البلح، مخترقين الشوارع التجارية المكدّسة بالملابس والبشر، كنا نهرول في هذا الجو الخانق، متخبّطين بالمارة، خرجنا إلى شارع بولاق الجديد، منطلقين إلى دروبنا القريبة، كان وقتاً عصيباً، لجأ كل منا إلى بيته، متصنّعاً الهدوء. ليعكس انطباعاً زائفاً بأن لا شيء هناك، نافياً عن نفسه تهمة الاشتراك في الجريمة. كان الوقت يمر ثقيلاً، وثمة هواجس يغذيها التشاؤم والقلق في غمرة ترقبنا. كنت أخرج من البيت خلسة، أطل على الحارة، مستطلعاً الأمر، بالمظهر نفسه تقريباً، كنت أجد أحدهم: سمير، لطفي، حسونة، جمال، جلال... إلخ.

كنا نلتمس خبراً يوشك على الوصول على جناح عاصفة. على غير العادة أيضاً، سيطر صمت قاتل على الحارة، البيوت هادئة، وتخلو من الصخب المعتاد، حيث لا أثر لشيء، لا شيء. كان صمتاً مريباً، متواطئاً، جعل الأمل في عودتهما يتضاءل، وبدا كضرب من المستحيل. إنهما الآن يرقدان في قاع النهر، جثتين هامدتين، لفظتهما الدنيا، وتخلصت من وجودهما المزعج. شعرت بانقطاع الزمن أمام الكوابيس المرعبة التي بدأت تنهشني، بتكدير لا حدّ له. كنا نفكر في تداعيات الأمر بنفوس مضطربة.

ـ ليتنا قمنا بمنعهما، باغتنا سمير عبد الرحيم. الأكثر طيبة والممتدح من الجميع، كان يكفكف دموعه، بما يليق بصبي وقور، وهادئ دائماً. إن له أخاً غريقاً، كان يكبرنا بسنوات عديدة، هو المرحوم شعبان، الذي كان له جسد مصارع، وروح طفل بريء. لقد ابتلعه النيل، ثم أعاده بعد عدة أيام طافياً بالقرب من إحدى جزر الوراق.

حقّاً، كدنا نوشك على الانهيار، لا ندري ما الذي يمكن اتخاذه في هذه المحنة، لكن الأكثر إثارة بدأ في الانبثاق من رحم الكوميديا، فقد لمحنا جسدين عاريين قادمين من بعيد، يتقافزان بطريقة رياضية: واحد. اثنان... واحد. اثنان...

عندما اقتربا منا، لم نصدق أنفسنا، كذبنا العيون التي تطالعهما، كانت المفاجأة، أنهما خيّان، يمرق كل منهما إلى بيته، راكضاً على نحو عسير النسيان. بالطبع نالا عقاباً قاسياً، وحرماناً من الخروج، صارا رهن إقامة جبرية، مقرونة بالضرب المتواصل.

بعد العفو العائلي، عادا إلينا، حكيا لنا ما لم نره، لقد قفزا من فوق الجسر المرتفع، قفزة مبهرة، غاصا بعدها عميقاً، ثم بدأ السباق فور صعودهما إلى أعلى، استطاع محمود حنفي حسم الرهان لمصلحته، فقد وصل أولاً، ولحق به سامي، لكنهما لم يجدا أثراً لنا، فقاما بالبحث عن ملابسهما وأحذيتهما، لم يعثرا على شيء. اختفت الحاجات من الشاطئ. في البداية، اعتقدا أننا ذهبنا لشراء طعام، وانتظرا على مضض، بعد يأسهما، أخذا يفكران في العودة، متجهين إلى محطة وكالة البلح، صُعُداً إلى الترام الذي يبدأ انطلاقه من هناك، ويمر على ناصية شارعنا أثناء رحلته، كان منظرهما غريباً ولافتاً، وهما يهربان من المحصل، مرة بعد أخرى، حتى استطاع أن يحاصرهما، طالباً الأجرة.

ـ تذكرة.

شرع سامي يبحث عن نقود في جيب بنطاله المتخيل. في هذه الحقبة، كان المحصّلون يستعملون أقلام رصاص، مكسوّة بكعب الومنيوم كغطاء، هذه القطعة المعدنية كانت ذات مهام مزدوجة، فهي تُستعمل في المعارك، يجابه بها المحصل الركاب المشاغبين. لقد طعنه في رأسه وهو يسبّه:

ـ أين هذه النقود التي تبحث عنها وأنت عارٍ هكذا يا...

محمود حنفي، الذي رأى الدم يسيل على وجه سامي، شعر بالفزع، ولم يجد مفرّاً من القفز إلى عرض الطريق أثناء سير الترام، ناسياً مخاطر هذا الفعل الأخرق، الذي خلّف وراءه كثيراً من الضحايا، موتى، أو مبتوري الأيدي والأرجل تحت العجلات الحديدية، لم تكن هذه الحركة متقنة، فقد تركت سحجات ورضوضاً وخدوشاً واضحة.

نهض، وواصل الجري، بحس عالٍ من الشهامة والرجولة المبكرة، ليعرف مصير صديقه الذي هبط من المركبة، مضرّجاً بالدماء، انطلقا إلى مسجد سيدي سعيد بغتسلان، قبل أن يواصلا العدْو مرة أخرى كصبيين مجنونين يفران من الدنيا، ويخترقان الزمن حتى يستطيعا العودة إلى الديار في لمح البصر.

* القاهرة

عادل لروت ـ «العودة إلى الحياة» (أكريليك على كانفاس ـ 100 × 100 سنتم)

قصائد

كغيوم تحت القناطر

محمد عزيز الحصيني*

1. بهاليك وفوانيس

تاتي الريح إلى فراغنا،
تحلّ المراكب
محملةً
بالحكم،
ونوايا العابرين،
مثخنةً بالصلصال
وأزهار الرماد،
لتقدم النصح لصانعي الأطايب
وتلاوين الفصول.
ها هم البهاليل
يلوّحون على سطحها
بفوانيس
قابلاً للخسران...
في الغرفة الخلفية
تظل الجوكندا وحيدة،
بينما يذرف الكركدنّ
دموعه
أسفل السلم.

2. النساء هنّ النساء

كأسي على الطاولة،
والنساء
هنّ النساء،
يطوّعن القلق والرياحين
في قلبي،
ويغرزْن
شوكة الضعف والقوة
في أيامي ولياليّ،
كثمرات يفضن باللذائذ النادرة.
في هذا المشهد الشبحيّ،
كانت المغارات فاتنةً في خيالي،
في عز الانتظار،
فوق أراضٍ خربة،
والنهار يكفّر عن طفولة شمس
واهنة...
منذ تلك الآثام
ونجمة مولدي تشعّ
في شيخوخة سعيدة،
تتواضع خلفها
الزلّات...
لا جمالَ
يغري أحزاني.
سالمها صمتاً ضارياً
بفوانيس
قابلاً للخسران...
لصيقةً بالأرض،
المنائر
كالأقداح،
يدوّرها الصفير
على أعناقهم.
البرية بعيدة،
ورياح الهمج
مذعورةٌ
تولول على جباههم
بنذور
البازلت والصبار.

3. تفاح وصولجان

ليت لي شباكاً
من ذهب،
لأصيد بيوض الحيتان،
أعلقها على الجدران
لاستقبال العائدين من حروب
الأمس...
من فرط ما أحببتك
ظلّت المجرات تبكي
تحت وسادتي
كل ليلة،
بينما الأشباح ترقص
في سحابة،
بين التفاح
والصولجان.

4. هضبة فوق كرسي

من نافذة بعيدة على الأطلسي،
يجيئني صوتك
محمّلاً بالعصافير ونواح
الشجر... ثمة ما يشبه اختلاجات
الشمس
في العروق الصاعدة في المرآة،
ثمة ما ينبئ بعثرات
النجوم وهي تسبح في يدي. هذه
الكأس تموج بما تحتبسه
الأنفاس الباردة من سحاب نقي
وزهر يابس
لهضبة فوق كرسي...

5. نيزك اعمى

فكرتُ:
أأستطيع أن أحمل قلبي
كما يحمل الطير
قطرة المطر؟
أو كما تلاعب النوارس
خصلات الصيادين
أمام صمت بكائهم.
يا للإلم القادر
على أن يخيط أصابعي
بشظايا البحّور
ولون النبيذ.
يا للعربات التي تجري
مولولةً بين الفزّاعات:
هذه يدي لا يبرحها
النيزك الأعمى،
حين يقود
صفا من القوارب
نحو امجادها المحطمة.

6. عيون في الجرار

بجناحين مشتعلين في سمائي،
سأحنو قليلاً على الطريق إلى
مشاتل العنقاء. على مقربة
من معصرة النبيذ ثمة عيون
في الجرار. لن أكتفي بمصائد
الكناية. العائدون من دروبها
لم يفيقوا من الصحو. عما قليل
سترتخي سواعدهم من النسيان.
أمام نظرتي الخرساء يكبر
السحاب، وتسرج الخيول عائدة
إلى دارتها في الضباب.

7. بخار مهجور

رائحة القرنفل في الصدى.
وأنت تعبرين بين غياب وغياب.
في الغرفة سحب فوق صوري،
معادن تتكسّر في البخار المهجور
عند الهزيع الأخير من عمر
هذه المياه اللآلاءة على الإفريز.
الخصر متناغم. والموشح يهدي.
لماذا هذه الشرفة مطفأة وخلفها
تدمدم الشفاه باغنية عن الرماد
واعراس الزجاج؟

8. رعاة منسيون

ليتني جدلت الماء في أنساغ
الشجر، أحرقت بذوري بين
الحلي المنثورة على باب حانة
مهجورة. في الصيف، كما في
الخريف، تكون الحكمة أحلى،
لأن العصافير تفيق من أخطائها
خلف الستائر، ولأن أقماراً خضراء
تطرق باب الحرير في انتظار
هواء نحيف. في هذا المنعطف
تحت شجرة بلا أكمام، يجلس
الرعاة، شفاههم على الكؤوس
الذهبية، ليستريحوا قليلاً من
وعثاء الخيبات في الحقول. ها
هم يشعلون لليل آخر القناديل.
لا وقت للخسران، فالذئاب تشحذ
في الهضاب القريبة مُداها،
وتنتظر مرور القوافل والأمطار.

9. هطالك

الشتاء كله
موجع.
بدون غفوتك،
تسرقني المهالك
من الضوء الفاتن
لنعومة الفجر،
حتى أكاليل الرمل
في المنحدرات.

10. شمس... او كآبة

كان محاطاً
بكل شيء،
خيمته في الريح،
أسمال روحه
منثورة
فوق قباب
المدينة،
سنابله الطويلة
الأعناق
بأنياب بيضاء،
أسراره
في مخادع النساء المسنّات،
سترته بالمنديل الأزرق
في الجيب،
هذا الرجل
الذي يقف الآن
أمام الجدار،
ينثر الحَب
خلفه للطيور...
ليس أنا،
هذا الرجل
الذي يقرأ «كتاب الضحك»
موقن بأن الأمل
بوجهين،
يتسكّع
بين الكثبان:
شمس،
أو
كآبة.

* الرباط/المغرب

محمد القاسمي ـ بدون عنوان (زيت على قماش، 2001)

سياسة

جوليا كاجيه: كيف يشكّل المال السياسة

مصطفى شلش

عن منشورات «جامعة هارفارد»، صدرت النسخة الإنكليزية من Le prix de la démocratie تحت عنوان The Price of Democracy - How Money Shapes Politics and What to Do about It لجوليا كاجيه الأستاذة المساعدة في معهد العلوم السياسية في باريس، والمتخصصة في اقتصادات وسائل الإعلام والاقتصاد السياسي والتاريخ الاقتصادي. تشير كاجيه في كتابها الصادر عام 2018، إلى أن «البرازيل يحكمها اليوم، جايير بولسونارو، ضابط جيش سابق ذو نزعة استبدادية، يفتقر للثقافة ولا يهتم بالبيئة. أما، فرنسا، فقد احتلّ اليمين المتطرف فيها المرتبة الأولى في الانتخابات الأوروبية، وسلطت أزمة «السترات الصفر» الضوء على العجز التمثيلي الذي يؤثر على جزء كبير من السكان (...) وفي الولايات المتحدة، يقضي (الرئيس السابق) دونالد ترامب - الذي لا يزال مهووساً بجدرانه على الحدود المكسيكية - وقته في إطلاق عمليات مكثفة لطرد المهاجرين».

لقد تسارع الزمن، وأصبحت الديمقراطية التمثيلية تواجه أزمة في السنوات الماضية. يتتبع الكتاب أكثر من 50 عاماً من المحاولات لتنظيم الديمقراطيات الغربية، رغم الثقل المتزايد للمصالح الخاصة، إلا أنها كانت تتضمن أنظمة مبتكرة للتمويل العام للأحزاب والانتخابات. مع ذلك، كان هناك رفض للتفكير في حل مُستدام لمسألة التمويل، والتعلم من الجهود السابقة غير الكاملة ولكن المفيدة، والإفادة الكاملة منها في إنشاء نظام جديد وأفضل. اليوم، أصبحت الديمقراطية أمام نقطة فاصلة هي: الذين يفوزون اليوم هم الذين يدفعون.

أصبح مصطلح «الديمقراطية غير الليبرالية» شائعاً، كما لو أن وجود الديمقراطية ذاته لا يعتمد على عدد من المبادئ غير القابلة للتغيير. أول هذه المبادئ، التي دفعت كاجيه لكتابة هذا العمل، هو: «شخص واحد، صوت واحد»، وليس «يورو واحد، صوت واحد»، أو «منفذ إعلامي واحد، صوت واحد». تظن جوليا أن هناك تجاهلاً لنقاش مسألة الاستيلاء على الديمقراطية، واحتكار للخطاب العام من قبل الفئات الأكثر حظاً في المجتمع. لقد حقّق المتنفّذون ذلك من خلال قوة محافظهم المالية، سواء عن طريق التبرع للأحزاب السياسية والحملات الانتخابية، أو من خلال تمويل مراكز الفكر والمؤسسات الأخرى، أو من خلال الحصول على حصة في الوسائل الإعلامية الإخبارية المؤثرة.

أدّت التطورات السياسية الأخيرة على جانبَي الأطلسي، إلى حاجة مُلحة لمقترحات الخروج من الأزمة الحالية للديمقراطيات التمثيلية، أبرزها: الحد من الاستغناء عن «أصحاب الملياردرات»، رغم إمكانيّتهم الفوز عبر الاعتماد على حشد أنصار الطبقة العاملة (تشعر أن الكاتبة تنشر على «دار التقدم» السوفياتية العتيقة بدون تعمق في المجتمع الأميركي) بدون الاضطرار أولاً للانحناء للمصالح المالية، وتنظيم عشاء لجمع التبرعات، وتقديم وعود تصبح ملزمة لاحقاً. وتشن جوليا هجوماً على جو بايدن، (الرئيس الأميركي المنتخب الآن) حيث يعد المانحين الأغنياء بأنه لن «يشيطن» الأثرياء، فتهمةٌ إياه بأنه أحد الديمقراطيين الذين أيدوا اقتراح ريغان بخفض معدل الضريبة على الشرائح العُليا إلى 28% عام 1986. أكثر من ذلك، تتّهم بايدن بأنه لا يدرك ما يقصد باستخدام كلمة أغنياء، ولا يدرك ما النتائج التي ستعود على الفقراء من دفع تلك الفئات العُليا للضرائب، بل إنه يظن أن دفع أشخاص لأجزاء من ثرواتهم، لا يعني بالضرورة تغيير مستوى معيشة الآخرين.

وبالانتقال إلى دور الشيطان، يمكن لأي شخص مطلع على المدرسة «الليبرتارية» تفنيد هجوم الكاتبة الأخلاقوي بسهولة.

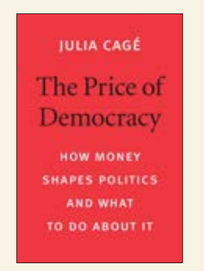

تريد ديمقراطية لكن ديمقراطية مُتلفزة، شخصيات مُنمّقة، تتحدث بخطابات أكاديمية

التمويل العام في الانتخابات الرئاسية (نظام يعود لأكثر من أربعين عاماً) واستبدال المانحين على الديمقراطية الأميركية. الحملة الانتخابية لهيلاري كلينتون، أنفقت أكثر من منافسها دونالد ترامب، وتشير جوليا إلى أنّها لا تحسب المكافآت السخية لهيلاري التي تلقّتها «غولدمان ساكس» أو «سيتي بنك»، لكنها تشير إلى سيطرة المليارديريين الديمقراطيين محافظون مثل نظرائهم الجمهوريين في الأمور الاقتصادية، وفي الحملات الانتخابية، وكذلك في السلطة.

وترى جوليا (أظنها صاحبة ميول يسارية طفولية) إمكانية الاعتماد على طريقة بيرني ساندرز في تمويل حملته عام 2016 من خلال ما أسمته التبرعات الصغيرة. وقد أشارت إلى أنّ هذا غير كافٍ للنجاح، ولكنه يدلّ على نجاح مؤسسة ActBlue (منظمة غير ربحية تأسّست عام 2004) بالفعل عام 2018. فخلال الفترة بين 2014 وانتخابات منتصف المدة في عام 2018، حقّقت هذه المنظمة أكثر من 2,9 مليار دولار للديمقراطيين المرشحين. وبين كانون الثاني (يناير) 2017 وسبتمبر (أيلول) 2018 فقط، جمعت ما يقرب من 564 مليون دولار، أي ما يقرب من 55% من جميع المساهمات الفردية للمرشحين الديمقراطيين لمجلس النواب ومجلس الشيوخ. هل هذه طريقة جديدة لممارسة السياسة؟ تتساءل جوليا. وتجيب بإمكانية نجاح الأمر، لكنّ الديمقراطيين لا يبدو أنهم يفضلون الاستغناء عن «أصحاب الملياردريات»، رغم إمكانيّتهم الفوز عبر الاعتماد على حشد أنصار الطبقة العاملة (تشعر أن الكاتبة تنشر على «دار التقدم» السوفياتية العتيقة بدون تعمق في المجتمع الأميركي) بدون الاضطرار أولاً للانحناء للمصالح المالية، وتنظيم عشاء لجمع التبرعات، وتقديم وعود تصبح ملزمة لاحقاً. وتشن جوليا هجوماً على جو بايدن، (الرئيس الأميركي المنتخب الآن) حيث يعد المانحين الأغنياء بأنه لن «يشيطن» الأثرياء، فتهمةٌ إياه بأنه أحد الديمقراطيين الذين أيدوا اقتراح ريغان بخفض معدل الضريبة على الشرائح العُليا إلى 28% عام 1986. أكثر من ذلك، تتّهم بايدن بأنه لا يدرك ما يقصد باستخدام كلمة أغنياء، ولا يدرك ما النتائج التي ستعود على الفقراء من دفع تلك الفئات العُليا للضرائب، بل إنه يظن أن دفع أشخاص لأجزاء من ثرواتهم، لا يعني بالضرورة تغيير مستوى معيشة الآخرين.

وبالانتقال إلى دور الشيطان، يمكن لأي شخص مطلع على المدرسة «الليبرتارية» تفنيد هجوم الكاتبة الأخلاقوي بسهولة.

فكر

ظافر الخطيب: طروح مجنّحة على حياة الفلسطينيّ العادي

عبيدو باشا

واحدة من الصرخات في وجه السياسات الفلسطينية السائدة تصل في كتاب ظافر الخطيب «الحقيقة الفلسطينية وغياب العقل الفاعل» (دار المصور العربي). حوار واقعي مع الواقع. هكذا أراده مؤلّفه. كلام ضدّ كل ما هو خيالي في الحياة الفلسطينية في المخيمات والمواقع الأخرى، حيث تحلّق السلطة والفصائل الفلسطينية بعيداً من أنفها وعلى أنف المواطنين. لا عصارة عند هؤلاء. هذا ما يوحي به كتاب لا يرغب صاحبه إلا التحرر من أصفاد الجهات. لا جهة وراء ظافر الخطيب. جهته خدمة مواطنيه في لبنان ودول المهجر، حيث يبدون كأصابع طويلة تناضل، كل يوم بيومه ضد كل أنواع الجاذبيات. لا تسلل. كلام صريح في مجموعة من الفصول المتفاصلة، المتواصلة، الصارخة في حنجرة الوجود. لن يهمل الرجل الشغال على خيم الزراعة والمطابخ الشعبية في منطقة صيدا الا الأحماض الروائية ولا الأرقام السرية للفلسطينيين. من يحاولون تخفيف القضمان حولهم، مقيمين وعابرين التقاطعات ضد الاختفاء. يبدأ من الذات الفلسطينية وينتهي بالسردية الفلسطينية بين الاختفاء والتبلور. بين العناوين العناوين الكثيرة الأخرى، في فصول برقية. الاستراتيجية الفلسطينية والنظام السياسي الفلسطيني والمقدّس والأسئلة التاريخية والمراجعات والتراجعات والاعتدال الذاتي والعوامل الموضوعية للاعتدال هذا وصولاً إلى طرح حضور الخطيب لا يصافح الحياة المدشّنة حياتها بمضغ ظلالها المهرّقة، المتطايرة من حجرات النبض السري للقضية الفلسطينية. كل الطرق طرق إنقاذ. هذا ما يدور في باب ظافر الخطيب. إلا أنّ ما في باله يواجه يقين استحالة الوصول إلى الجمهور، لأن طرح الخطيب لا يصافح الحياة المعضلات الفلسطينية وارتداداتها على مدى عشرات السنوات الماضية، بحماسة لا تخفي بعض الحزن وتضرب الأوهام الفلسطينية بالأبدية الفلسطينية بالتاريخ والجغرافيا. إلا أن ظلام الفلسطينيين كلام طويل، بحاجة إلى الإضاءات العادية أولاً، ثم إلى نشر الأبواب بحثاً عن وجود الفلسطيني في بيوت الريح في المخيمات. ولأن طموح الخطيب طموح محدق، لا يعود بالكتابة خطوات قدر ما يتقدم بالكتابة خطوات على قدرة الفلسطيني العادي على قراءة ملامحه في فصول كتاب الخطيب، لأنه يهمل اللعب على البراءات الأولى في مصلحة لدغات لا حاجة لها إلى أن تفصح عن ريباتها، ما دامت الأخيرة أجمل علامات الكاتب. من يعرّي الفلسطيني من قواه حين ينجز كتابه على التبرؤ من اللغة العادية في مصلحة لغة تجد في براءة «الآخر» براءة قاتلة. لا يجدّ الخطيب البراءة، هو الكافر بالأعذار والأحوال والمال، ما أثقل عليه وأحنى ظهره من قوة ما يكفر به على ظهره.

بحواره مع «الآلهة» يضحي المؤلف واحداً من القضاة وهو يرأفع بلغة ضد دورات الكذب العظيمة. إلا أنه في تحسسه الواقع الفلسطيني، يتنفس هواءه وحده لا هواء الفلسطينيين العاديين، في لمحات لا تخاطب قدر ما تناظر وتشاقف، بحيث تبدو كأنها تنسج حضورها على الخيال لا على الواقع على شاشة الوجود العملاقة. كل الطرق عند الفلسطيني للقضية الفلسطينية. كل الطرق طرق إنقاذ. هذا ما يدور في باب ظافر الخطيب. إلا أنّ ما في باله يواجه يقين استحالة الوصول إلى الجمهور، لأن طرح الخطيب لا يصافح الحياة

نقاش المعضلات وارتداداتها على مدى السنوات الماضية

مباشرة، إذ يستبدل المصافحة هذه باستعمال لغة ملتبسة ولو أنها لغة لا تخادع. لغة غير مخادعة، لأنها تصدر من سقف الأيديولوجيا لا من سقف الواقع. حكّ لظهور النجوم في الأعالي، لا اتباع خطوط البشر أو أناس العاديين، حيث يتظهّر الكتاب منفجراً لا محاوراً، بلغة تقع في حدود الطلاسم المسحورة بالفرار من الظلال المهرّقة إلى الوقوف على ساقين سوف تجدان مساحتهما في المعابد السياسية للفلسطينيين، وهم يتظهّرون في الصرخات الموقوتة والسكنى تحت الأرض لا فوقها في الشروط التعجيزية المفروضة عليهم في لبنان. يرى الخطيب في الأمر الأخير غيمة على نافذة، وهو ليس على حق في ذلك لأن الخوف دم لا يسيل. الفلسطيني خائف في بلد يخاف ناسه عليه بعدما رأوه يرتد عن امتداده السابق من البحر إلى الجبل ومن الجبل إلى البحر. قضايا الفلسطينيين اليومية مجهولة في «الحقيقة الفلسطينية» لأنها لا تفيق في أسطورة الكتابة الكواكبية، أي كتابة الكوكب للكوكب. وطالما أن الأمر حوار كواكب، يقف الفلسطيني على الأرض تحت حوار أو صراع الكواكب حيث يموت مئة موتة في النهار الواحد، لأنه يشبه أي شيء، سوى الكواكب المتحاورة، المتصارعة، المتناحرة. كأنه كلام في بطن الحوت على أهميته الفكرية. إلا أن ما يحتاج إليه الفلسطيني العادي المفروشة حياته على الرمال الحارة حتى في الفصول الباردة، كلام لحظة لا كلام يقفز فوق حدود اللحظات، طائراً فوق جلده بحفيف الكتابة على كلمات الكتابة المجنّحة.

معضلة الكتاب، طرحه المجنح، كلماته المجنحة، رمشاته المجنحة، بدون رغبة في تحديد المساحات والمسافات، مساحات يقف عليها الفلسطيني (ابن البلد) لا الفلسطيني الواقف على جزيرته السياسية. هكذا يفقد الكتاب شيئاً ذا قيمة لا تُنسى. قيمة رسم الصورة بالطريق إلى القراءة خلف الفتريزات القيادية. سيخرج المشهد العرض من المشهد، لأن الأخير مصنوع من اللهب الأدمي، حين أن العرض الفكري/ المنافح والمثاقف، يسابق ملوك المجد والشياطين والأنبياء بلغة لا تهتاج إلا باستقرار صاحبها على فكرة أن المحاكمة ستُضيق الدرب على الآخر، بحيث يغدو في حجم شعرة من كشف سيئاته، ليموت بدون قدرة على الانبعاث. تسريب معتقدات جديدة، على فكرة أن العالم عالمان: عالم أعلى وعالم أدنى. من يسكن الأخير هم الجيران في مؤلف الخطيب، حين أن سكان العالم الأول هم الخلان من يقفون على الميزان في كلام الخطيب. صراع بين الخير والشر، بل أكثر. صراع مفتوح لأهورا مزدا الإله الممثّل للقوى الخيّرة والضياء والنظام في لغة متعالية على اليوميات. صراعه ضد أهريمان الإله الممثّل لقوى الشر والظلام والفوضى. صراع بين الآلهة الجليلة. إله يقتحم ممالك نحاس الآلهة القديمة، بهدف تحرير المأسورين بإنارة شعاب الموت المظلمة.

لا يخفق المواطن/ الهدف الدائم في الشرايين. إنه محيد، مسحول بالكلام العالي فوق عتبات الضحايا الحجريين، كما يتصورهم من يقرأ ظافر الخطيب، ما دام حلمه أن يعبر الشوارع لكي يطبع حضوره على النوافذ العالية للحياة الفلسطينية. النوايا مضيئة، لا شك في الأمر. إلا أنها خفايا الأدمغة تعبر فوق هواء الهواء الفلسطيني، لا لكي تحول الأرصفة إلى وسائد، لكي تحول الفلسطيني إلى ندف لحم في الصراع القائم بين النخب الفلسطينية. لا يداخل الفلسطيني العادي في كلام ظافر الخطيب، لأن لا قدرة له على المداخلة. حياته ليست في الكتاب. ما في مؤلف «الحقيقة الفلسطينية» ستائر مرفوعة على الكوابيس الفلسطينية، طالما أن الكاتب يلوح لدهشة القارئ لا لدموع الفلسطيني المتجمّدة على خدّيه ولا لذكرياته الأشبه بالأمطار القديمة. ثمة أشياء جذابة، غوايات، طرق على أحواض من دخان، لا على الجرائم اليومية المرتكبة بحق الفلسطينيين. متعال لا غامض، بقشات من ضجة الخطى في المجال الفكري لا من صدى الوجع الفلسطيني المباشر. حفر هوة في جدار، لا نافذة. لن يسمع أحد رف مفتاح سجن الفلسطيني، حين يقضم الكتاب واللغة الصرخات وهو يتحول إلى إسفنجة تمتصها وهي تسمع صراخها من ألم المسافة بين المخاطب والفلسطيني العادي ومن الدوّامة السارحة بين المخاطب ومن اخترعوا حضورهم على سهوب الفلسطيني الأشبه بالزبد.

رواية

إيمان الدرع: نزلٌ بصورة وطن!

غنوة فضة

تنحاز الكاتبة السورية إيمان الدرع في روايتها «الفرنكة» (دار نينوى)، لمصلحة سرد أحوال المأساة في بلدها بعيداً عن الذاتية. حيث يطفو صوتُ الألم النازف، بطلاً جماعياً لا يتطاول فوق صوته صوتُ آخر. رغم تعدد شخوص الرواية، يبقى صوت المكان المنكوب هو الصوت الأبرز، والنظرة الكسيرة المتسامية بالحب والكمال هي النظرة الأمثل.

تبدأ الحكاية بمشهد صراع على غرفة في نُزُل وسط حي القيمرية في دمشق القديمة، ليُشكّل مطلعاً رمزياً يصف شتاتَ السوريين، وخلافاتهم حول ما عاشوه من أحداث ووقائع في السنوات الأخيرة، وما نتج عنه من مآس ونزاعات أسهمت في محو القيم الأخلاقية، وتلاشي الفضائل تحت أزيز الرصاص ورعب الانفجارات وعويل القذائف، لتحيا المدينة وسط تلك الأجواء متّكئةً على آذرع من يعيشون فيها بصمت، ويكسبون لقمة عيشهم بنزاهةٍ في يستمروا في العيش، وهم ضحايا لما حدث ويحدث، إنهم: «ضحايا الحرب ووقودها، من يموتون بصمت، ويعضون كاظمين على الفاقة والجوع، إلا أنهم يبتلعون السخط حباً في البلاد، وخوفاً من رجس الخراب ودنسه». ترسم الكاتبة أول مشاهد حكايتها من خلال مشاحنة عابرة تدور حول أحقية استئجار «الفرنكة» في النزل المذكور، بين الدكتور عمر الوافد إلى العاصمة بحثاً عن مصير أختٍ مجهول، والمهندسة نجوى المسافرة في رحلة علاج ابنة أخيها من مرض مستعص، وهي امرأة مطلقة، رمزت شخصيتها المتمردة الحنون، إلى البلاد المجروحة والوطن الذي بقي حيّاً رغم تلاحق الكروب وقصص الموت.

تخصّ الكاتبة روايتها بعنوان ينبئ بحكايتها، فالفرنكة هي الغرفة العُلوية في المنازل الدمشقية العريقة، تمثّل اختصاراً للمكانة الرفيعة التي تجمع حكايات الحبّ والحرب معاً، وهي ذلك التسامي المفقود، الذي يتنافس عليه الوافدون إلى النُزُل من نازحين ومكلومين من كل أنحاء البلاد، طامعين بأمانها، هاربين من أسفارهم ورحلاتهم المضنية إلى جدرانها التي تمثّل اختصاراً حياً للحكاية السورية، بدءاً من دخول باب النزل الكبير حتى تدفّق قصص النزلاء الذين وحدتهم حبكاتٌ جمعها مصير واحد، قاسمه المشترك واقعُ الحرب، بكلّ ما تتركه على جباههم من آثار الفقر والاغتراب والهجران.

تتباين أصوات النزلاء بين المتألم والمتمرد، ومن يكظم الهموم وراء حقائق مرّة. فالصبية نجوى تفقدُ العاصمة أملاً في شفاء ابنة أخيها التي تمثل ضعفها ونكبتها حال المدن المشتّتة، لتسقط في حب الدكتور عمر، فنراها رغم ذلك تقاتل الموت بالحب، والبأس بالضحكة الصادقة، في حين تمثل الست الفت صاحبة النُزل، التي تتوسط على مدار الحكاية فناءَ طبقته الأولى، العقل المدبر والقلب الحازم ذا العاطفة الوقّادة، فتبدو بمثابة رمز لأولئك الصادقين الذين يثبتون في لحظات الصراع الحامي، فنراها تكتم رغم تقدمها في السن حكاية خسارتها حبّها للحاج تحسين الموسوم بصورة عجوزٍ يتباكى على أطلال حبّه، ويعبر عن خيبة ضحايا الخلافات الطائفية والمذهبية، ممن وقعوا شهداء صرعى النّزعات المناطقية، ليس فقط بسبب الحرب، إنما بسبب الحب أيضاً. كما تستدعي الكاتبة عبر أحاديث النزلاء وسهراتهم المسائية صوت الإنسان السوريّ الشقيّ، الذي خاض صراعاً مريراً في سبيل البقاء.

تتنّال الحكايات وتتناسل في محاولة لفضّ الشتات، وخلق وطنٍ صغير. بعيداً عن حمى الهيام الذي عرّت معادن السكان. تبدو الرواية أشبه بحنين جنائزي مهيب، يتضح عبر التجوال بين أحياء المدينة، وما يحيطها من آثار وأوابد، في محاولة لاستدعاء ماضٍ مندثر وبثّ وجهٍ صنعت هويته الأمكنة الذاوية، وأحاديثُ الارتحال. تخرج الكاتبةُ الحكايةَ بلغةٍ أسرة ممتعةٍ، وخطاب جمالي يرفض الشعارات الخشبيةَ والأصداء التي فتكت بما تبقّى من مساحات للحب والتناغم، الأمر الذي يجعل من «الفرنكة» نصّاً آخر غيرها.

في النُزل حيث يجرّ الحزنُ حزناً آخر، والسواد يشتدّ بعتمات أكثر قتامة، ترسل الكاتبة عبر مشهد النهاية الضوء إلى أولئك الذين أغلقوا على أنفسهم باب الأسى فاغتالهم، وتجعل النص قبيل إسدال الستار مفتوحاً على ذلك النور القادم من بعيد، وعلى عظمة الحياة التي تأنف الخسارة، فتختم بإيضاح ما كان غامضاً، وتذوّب الخلافات في قصص حبٍّ شيّقة، وتنتهي بما يشبه شمساً تشرق مجدداً على أرواح تلدها الماسي كل صباح، ليس لغاية رسم نهايات سعيدة بأناقةٍ خَلَبية، وإنّما بقصد التمسك بالأمل مثل من يتمسكُ بوعدٍ أخلف، وبقي صداه اليتيم يحتفظ بسحر البراءة في أزمنة الحروب والحرائق.

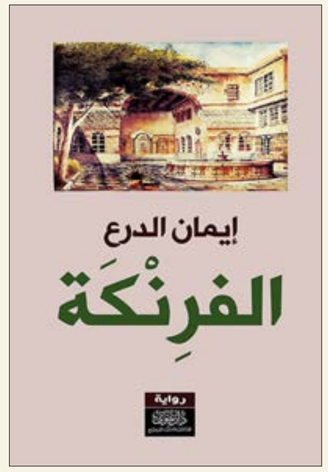

يرمز النُزُل في دمشق القديمة إلى شتات السوريين

سيرة

محمود شقير: القدس في كلّ مكان

أحمد زكارنة

حينما يتجلى المكان في السرد بوصفه دالاً لا يكتمل إلا بمدلوله، يصبح السؤال: أيهما الدالّ على المدلول، الراوي أم المكان؟ وبصرف النظر عن الإجابات التي قد تصيب أو تخطئ، فإن هذه العلاقة الفريدة حدّ التماهي حيناً، والمشحونة أحياناً، بين الأديب المقدسي محمود شقير وأمكنته، يلاحظها القارئ بوضوح كامل في الصفحات الأولى من سرديته الأخيرة «تلك الأمكنة» (دار نوفل ـ 2020)، بخاصة وهو يشير إليها في تمهيده بالقول: «كانت العودة إلى المكان الأول مثيرة للبهجة، إلا أن إعادة التموضع في المكان لم تكن سهلة».

والمتابع لمشوار شقير بوصفه أحد الأسماء المهمة في كتابة القصة القصيرة تحديداً، والأدب بوجه عام في فلسطين والمنطقة؛ سيتنبه إلى أن المكان على وجه الدقة، يلعب دور البطولة في مخزونه الفطري والفكري معاً، وهو من صدّر عناوين عدة تحاكي المكان بشكل واضح ومباشر في «ظل آخر للمدينة، قالت لنا القدس، مدينة الخسارات والرغبة، القدس وحدها هناك، مديح لمرايا البلاد، الحاجز، رام الله التي هناك، تلك المدن البعيدة، القدس مدينتي الأولى، أقمار القدس، مدنٌ فاتنة وهواءٌ طائش، وأخيراً تلك الأمكنة» التي تنحدث عنها هنا... فضلاً عن الوصف الدقيق والمثير للدهشة لكل الأمكنة التي مر عليها طيلة ستين عاماً، انتقل خلالها ما بين عمان وبيروت وبراغ، وغيرها من المدن التي حلّ عليها ضيفاً لأيام معدودات.

ما يطرح علينا سؤال المكان في وعي الكاتب: أتراه حاضراً بوصفه تعبيراً عن الفقد أم الامتلاء؟ سؤال يصعب تفكيكه تحديداً لدى الفلسطيني الذي صارع وحده الاستعمار واستطالاته في المكان وحوله وما زال. «أبواب القدس تظلّ مشرّعة في الليل، لأنّ الغزاة أصبحوا في الداخل» (ص83)، ترى ألا يدلل ترك الأبواب مشرّعة، على الأمل الذي ما زال قائماً وسيبقى؟!

الأهم أن المكان هنا، ليس ككل الأماكن؛ إنها عروس المدن، القدس، أساس الصراع في بعده العقائدي والوجودي، مفتاح السلام من عدمه، المدينة «المغرية بشيء من التأمل» على حد تعبير شقير، الذي أضاف إلى البعد السياسي للمكان، بعداً آخر شغل حيز فضاء حكاياته وحفيدة مع المكان أجلاً وعاجلاً، كأننا به يقول للقارئ والمستعمر في آن: كنتُ هنا من قبل، وسأبقى هنا من بعد.

اللافت في سردية الكاتب محمود شقير، وهي تندرج تحت جنس «السيرة الذاتية» بامتياز، أنه وظّف بقصد أو بدون قصد، عاملَي الزمان والمكان معاً ليشكلا محوراً أساسياً واستقصائياً لمحاكمة الحدث ومتوالياته بالمعنى النقدي، فنجده تارة يستدعي بعض الأصدقاء والزملاء لا ليذكر القارئ/ المتلقي بالعلاقة التي ربطته بهم، وإنما ليسلّط الضوء على حدث بعينه في زمان ومكان ما من وجهة نظر نقدية، وطوراً يفاجئ نفسه بإجراء شيء من المراجعة الفكرية من خلال الإشارة إلى قراءته لحدث أو فكرة في الزمان والمكان. يتضح ذلك بشكل واضح في تناوله لهوامش العمل الحزبي قبل وأثناء وبعد الانتفاضة الأولى، وكذا في وقفاته المهمة أمام الفكر اليساري الاشتراكي الذي انتمى لقيادته في الأردن وفلسطين ردحاً من الزمن.

نموذج أول: «تفتّحت عيناي على أخطاء تجربة البناء «الاشتراكي»، فأدركت أهمية النظر بحسٍّ نقدي إلى كلّ شيء، بما في ذلك الأفكار التي نؤمن بها ونضعها في مرتبةٍ سامية من مراتب اهتماماتنا، غير أنّ ذلك جاء في وقتٍ متأخر» (ص70). النموذج الثاني: «بعد انتهاء الحوار، واصلنا أنا وزميلي الشاعر التذمّر ممّا يحدث في بلادنا من فوضى واقتتال، ثمّ افترقنا» (ص 83)

ولأن العلاقة مع المكان وناسه لا تصح ولا تستقيم في التماهي وحده، يمكننا معاينة العلاقة المشحونة مرة والمتوترة مرات، في نقد شقير اللاذع والمحق الذي مارسه للحالة الاجتماعية عشية الانتفاضة الثانية وهو يقول: «كنت أفكر في انحطاط الحالة الاجتماعية هنا في الحي الذي أقيم فيه وفي غيره من الأحياء. ثمة تباغض وأحقاد صغيرة ونميمة وشجارات لأتفه الأسباب. الفكر التنويري لم يعد يفعل فعله (...) انتعشت الانتماءات العائلية على حساب الانتماء الفكري والسياسي» (ص51).

من هنا، وبينما كان الروائي يستعرض سيرته في مشاهد سينمائية لم تلتزم بالخط الزمني المتتالي، وإنما بالعودة إلى الماضي مرة، ومحاكاة الحاضر مرات، بدأ يمارس فعل الرصد لكلّ التقاطعات التي كانت وعادت، فنجده حين يتحدث عن «أسباب القلق الذي ينتابه حول حالة السلم الأهلي، يتذكر ما تركه الاحتلال في النفوس من مرارة وقهر وإحباط، وكذا تحول الثورة إلى دولة (سلطة في حالتنا الفلسطينية) من عوامل سلبية». يربط ذلك بسياق مسيرة الحركة الوطنية وما تعرضت له من تحولات نتجت عن مؤثرات داخلية وخارجية.

شقير الذي بدا كأنه يتحدث بلغة مؤدلجة تستقرئ تاريخ حياته وهو يقول: «لعل أنبل ثلاث ظواهر في حياتي هي الكتابة والتعليم والانتماء إلى فكر اليسار» (ص124)، لم يسلّم تماماً للأيديولوجيا، وإنما نازلها بما يخدم قضيته وقضية شعبه، وكذا لم يركن للفكر التنويري بما هو عليه، لكنه راح يحاول خلخلة يقينياته ومحاكاة أنماطه تحديداً في المنطقة العربية، كأنه يقول: إن العالم شهد ما شهد من كوارث في ظل الادعاءات التنويرية، فكان أن استخدمت الأسلحة المحرمة في إبادة الضعيف من قبل القوي، ما ترك ظلاله الواضحة ولا يزال على الجسد الفلسطيني المكلوم حتى يومنا هذا.

بهذا المعنى، جلب الكاتب محمود شقير المستعمر إلى المحاكمة الأخلاقية، فكانت مقاربته شديدة الأهمية في الندوة التي شارك فيها مع زملاء آخرين في النرويج، حول ما يمكن أن نطلق عليه «سياسة الأسوار» سور برلين، وسور بلفاست، وسور القدس، وعقلية المستعمر السارق لحقوق الغير، الباحث عن التخفّي من خلال تشييد مثل هذه الأسوار التي تنافي الطبيعة من جهة والسلوك الإنساني السوي من جهات أخرى.

وبهذا المعنى أيضاً، نزع شقير إلى تدوين يومياته في سيرة ذاتية تخلّت عن السّرد البنائي لوحدة النص، لمصلحة الأسلوبية، في محاولة جادة لتشكيل حيز عام لسردية المكان، بما يقدمه في قوالب موازية تُعلي من قيمة الإنسان، وتلفت الانتباه إلى الأبعاد الدلالية التي تربطه به. ومن هنا كان لحضور حكايات الأحفاد في الحاكورة والشارع والمدرسة والبيت فعل السمة الحاضرة لمصلحة الشكل الكلي للوحة المدينة، القدس.

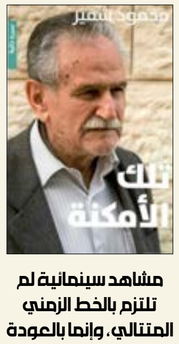

مشاهد سينمائية لم تلتزم بالخط الزمني المتتالي، وإنما بالعودة إلى الماضي مرة، ومحاكاة الحاضر مرات

أوراق

روزنامة جازر الكاذبة

زكريا محمد *

اكتُشف نقش ما يسمى بـ «روزنامة جازر» على يد ستيورات ماكلستر عام 1908 في تلّ في أراضي قرية «أبو شوشة» قرب الرملة يدعى «تل الجزر» أو «تل الجزري»، الذي تبين أنه أطلال المدينة الكنعانية العظيمة «جازر». وهكذا يكون التلّ قد احتفظ باسم المدينة حتى الآن، لكن على شكل «جزر» لا «جازر». نص النقش منقوش على حجر جيري بحجم الكف، وهو موجود الآن في متحف إسطنبول.

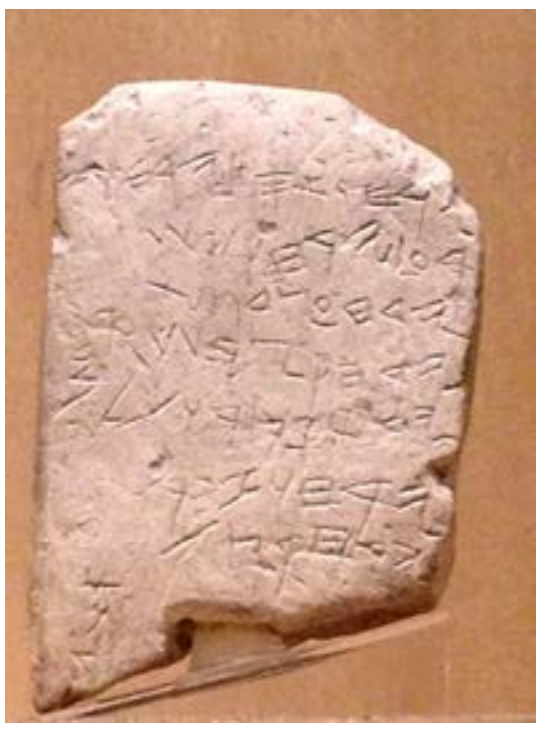

ويمكن القول إنّه كُتب عن هذا النقش منذ اكتشافه حتى الآن عشرات ألوف الصفحات. مع ذلك، فالقليل تغير بشأن قراءته التي تقول بأنه يمثل روزنامة زراعية. لكن الجدال يدور حول وظيفة النص. فهل كان روزنامة رسمية تُعلق في مكان عام؟ أم أنها روزنامة بسيطة كتبها طفل على لوح مدرسي في سياق وظائف تعليم الكتابة للأطفال؟ أم هي مجرد أغنية للأطفال وليست روزنامة حقيقية. لكن الكل مجمع على أنها روزنامة ما. إذ أن الكلمة المركزية في النصب حسب القراءة السائدة هي «يرح» التي تعني: شهراً. لكنها تأتي أحياناً بصيغة «يرحو». وقد تكررت هذه الكلمة في سطور النقش السبعة ثماني مرات. بالتالي، فالروزنامة المفترضة تحوي 8 أشهر فقط. غير أنه لسدّ النقص، جرى اقتراح أن الواو في صيغة «يرحو» واو جمع، وأن الروزنامة بالتالي تحوي 12 شهراً. وهناك ثلاثة أحرف في يسار أسفل النقش مكتوبة عمودياً، وقد قرئت على أنها «أبي»، وافترض أنها تمثل توقيع الكاتب، الذي أفترض أن بعض حروف اسمه ضاعت وأنه يجب أن يكون «أبيا» أو «أبياهو».

وقد قرئ على أنه يمثل أبجدية النقش كنعانية- فينيقية. وليس هناك جدال حول هذا الأمر. لكن الجدال يدور حول لغته. فالجزء الأكبر من الإسرائيليين يصرون على أنها لغة عبرية قديمة. أما الباحثون الأكثر حيادية، فلا يستطيعون الجزم بشأن لغته، وإن كان جزء رئيس منهم ميالاً إلى أنها لهجة كنعانية ما.

وفي الصورة أدناه القراءة المقبولة عموماً للنقش لكن مع وجود اختلافات هنا وهناك بين الباحثين:

من ناحيتي، أعتقد أن أبجدية النقش ليست فينيقية- كنعانية، بل تمثل خليطاً من الأبجدية الفينيقية ومن أبجدية لها علاقة بأبجديات شمال الجزيرة العربية في ما يبدو. وقد أدّت قراءة النص على أنه فينيقي إلى انبهامه وتحويله إلى روزنامة، في حين أنه ليس روزنامة في الأصل، بل هو لائحة طلبيات لمحلّ عطارة. لكن لأن المجال ضيق جداً هنا، فسوف أكتفي بالحديث عن الحروف الثلاثة في أسفل النقش، تاركاً المسائل الأخرى لكتاب أعمل حالياً عليه.

الحروف الثلاثة السفلى في النقش

على كل حال، فقد كان للحجر الذي كتب عليه النقش، ثقب مربع في أسفله يعتقد أنه استخدم لتعليق النقش. لكن الحجر كُسر في منطقة الثقب، فضاع وظلت بقايا تدلّ عليه. غير أنّ ما أثار استغراب بعض الباحثين هو أنّنا لو علّقنا النقش من مكان الثقب، فسوف يكون النص مقلوباً، أي سوف يكون أعلاه أسفله. وهذا ما أثار جدلاً حول مهمة الثقب ووظيفته. وفي رأيي أن وجود الأحرف الثلاثة السفلى، المكتوبة عمودياً على عكس النقش كله، يفسر لغز الثقب.

وقد قرئت هذه الأحرف من الأعلى للأسفل. لكن السؤال هو: لماذا عمد الكاتب إلى كتابة هذه الأحرف عمودياً على عكس النص المكتوب أفقياً؟ ولم يطرح هذا السؤال المركزي، رغم أن طرحه قد يفتح باباً لحل مشكلة النقش كله.

أما جوابي على هذا السؤال فكالتالي: الأحرف الثلاثة السفلى، المكتوبة عمودياً، هي ما تبقّى من نص سابق كان مكتوباً عمودياً قبل انكسار الحجر النقش الذي أضاع ثقب التعليق. فحين انكسر الحجر وضاع جزء منه، لم تعد المساحة العمودية مناسبة للكتابة أو كافية، لذا قلب الكاتب الحجر أعلاه أسفله، ثم جرت كتابة النص الجديد أفقياً لأن الاتجاه الأفقي صار أكثر ملاءمة للكتابة. لهذا، فإذا أردنا قراءة الأحرف الثلاثة بشكل صحيح، فيجب قلب الحجر بمقدار 180 درجة لكي يعود إلى وضعه السابق قبل الكسر. وفي هذه الحالة، سوف نقرأ الحروف الثلاثة عكس القراءة المقدّمة. وهذا يعني أن كلمة «أبي» يجب أن تقرأ «يبا». وبهذه القراءة، يكون قد تبخّر كاتب النقش «أبي» أو «أبياهو» وتوقيعه. أكثر من ذلك، يبدو أن الأحرف الثلاثة تكرر الكلمة المتكررة في النقش والتي قرئت على أنها «يرح»، كما يتّضح في الصورة أدناه.

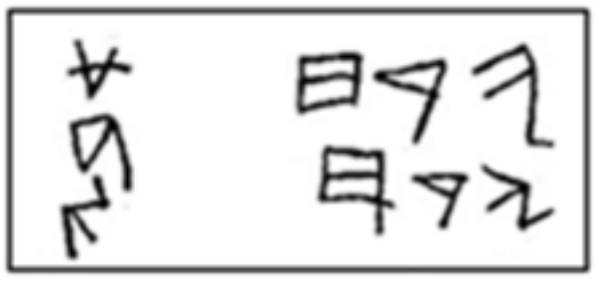

إلى اليمين في الصورة، لدينا نموذجان من كلمة «يرح» المفترضة. أما إلى اليسار فلدينا الحروف الثلاثة. ونظرة واحدة تكفي لكي تبين أن حرفين على الأقل من الأحرف الثلاثة يشبهان الحرفين الأول والثاني في كلمة «يرح». ولو قلبنا الأحرف الثلاثة، لاتضح الشبه أكثر، كما في الصورة أدناه.

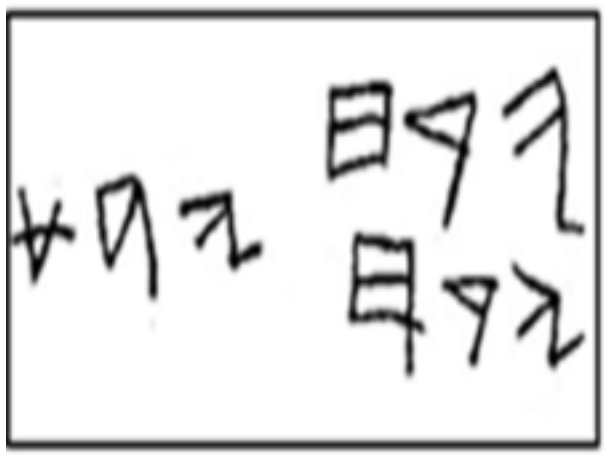

أما الحرف الثالث، الذي قرئ ألفاً، فليس واضحاً بشكل جيد في النقش الأصلي. بالتالي فمن المغامرة قراءته على أنه ألف. والحقيقة أن هذا الحرف يبدو خطاً أفقياً له ثلاث أسنان أو ثلاث أذرع. وهذا الشكل يشبه في الحقيقة الحرف الأخير في «يرح». الفارق فقط أن قفلته من الأعلى ضاعت في ما يبدو

بناءً، عليه يبدو أنّ ما تبقّى من النص العمودي السابق يكرر كلمة «يرح» المفترضة في النقش الأفقي اللاحق. وهو ما يشير إلى أننا في ما يبدو أمام لوح يُكتب ويمحى، ثم يُكتب ويمحى. وأن ما يكتب عليه من جديد على علاقة بما كتب سابقاً، ولو بشكل جزئي. وهو ما جعل كثيرين يعتقدون أننا أمام لوح تمرين مدرسي.

لكن تبعاً لاستخلاصاتي، وكما قلت أعلاه، فإن النقش يخص في ما يبدو محل عطارة، يبيع الأدوية والمقوّيات. وعلى اللوح كانت تكتب لائحة الطلبيات. وكلما نُفّذت لائحة الطلبيات محي نصها، وكتب مكانها نص طلبية أخرى. ولأن الأدوية المشهورة ليست كثيرة جداً في ذلك الوقت، فقد كانت الطلبية الجديدة تكرار بعض أسماء أدوية من الطلبية القديمة. وهكذا كرّر النص الجديد الذي كتب بعد الكسر جزءاً من النص القديم، كما أثبتت لنا الأحرف الثلاثة المتبقية من النص القديم.

أخيراً، وما دمنا مع أبجدية ليست فينيقية- كنعانية، فإن قراءة الأحرف والكلمات ستختلف تماماً. وتبعاً لقراءتي، فإن الكلمة المكررة في النقش ليست «يرح» بل «حدض». وهذه الكلمة تنويع على الكلمة العربية «حضض» التي هي اسم دواء من أشهر الأدوية في هذه المنطقة في الزمن القديم. وقد ظل هذا الاسم موجوداً حتى ما بعد الإسلام. ولاسم هذا الدواء في المصادر العربية عدة تنويعات تعكس اللهجات واللغات السائدة في المنطقة: حضض، حضظ، حضد، حظظ، حضذ. وها نحن نجد في نقش جازر صيغة: حدض.

إن صح هذا، نكون قد وصلنا إلى نهاية قصة «روزنامة جازر». وقد كانت في الحقيقة قصة ممتعة، لكنها زائفة لأسفي. وللحديث بقية في وقت ما.

* شاعر فلسطيني